الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

منهجيات التخيير والإصلاح
في ضوء سورة آل عمران

إعداد الطالب
عطا يوسف وادي

إشراف الأستاذ الدكتور
زكريا إبراهيم الزميلي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية - غزة

1433هـ/2012م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾

(سورة الرعد الآية ١١).

الإهداء

إلى طب القلوب ودوائها ،

وعافية الأبدان وشفائها محمد صلى الله عليه وسلم ،

من اشتاقت الروح للقياه، وورود حوضه والشرب من يده الشريفة .

إلى والديَّ العزيزين وزوجتي الغالية جادوا فما بخلوا . وقدموا فما تعبوا .

إلى ابنتي الحبيبة التي رأت النور مع ولادة هذه الرسالة فكانت نوراً على نور .

إلى إخوتي وأخواتي الأحباب .

إلى القابضين على الجمر من أجل الدين ثم الوطن .

إلى شعوبنا الإسلامية والعربية الذين انتفضوا على الظلم ،

وإلى جيل الصحوة الإسلامية الرائدة التي أخذت على عاتقها مسؤولية التغيير .

إلى حراس العقيدة وحماة الدين، إلى المسرى الحزين، والأسرى الميامين، إن ظلمة

الليل آذنت بالرحيل ليسلخ النهار بعد ليل بهيم .

إلى رواد التغيير وحماة الإصلاح في زمن الثورات وبناء الحضارات ،

إلى الشهداء قادة وجنودا، وإلى المخلصين الأتقياء، والمجاهدين الأوفياء،

إلى من بادلتهم المحبة والأخوة فبادلوني،

فكانوا نعم الإخوة، ونعم السند ، ونعم الصحبة .

إلى كل هؤلاء أهدي بحثي هذا .

شكر وعرفان

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (سورة إبراهيم الآية ٧).

أشكرك ربي وأحمدك، طمعاً في أن تفتح عليَّ فتوح العارفين، أحمدك ربي أن أكرمتني ويسرت لي إكمال الدراسات العليا وإتمام هذا البحث.

كما وأتقدم بخالص الشكر وجميل الامتنان، من أستاذي وشيخي الكريم فضيلة الأستاذ الدكتور: **زكريا إبراهيم الزميلي** صاحب العلم العميم والمنطق القويم، والرأي السديد الذي تشرفت بقبوله الإشراف على الرسالة، فلم يألُ جهداً من النصح والرعاية، مما كسى البحث تاجاً من الرونق والجمال، حتى خرج من أكمامه إلى النور، فجزاه الله عني خير ما جزى أستاذاً عن طالبه وأسأل الله ﷻ أن يبارك في علمه وعمله وأن يجعله ذخراً للإسلام والمسلمين.

والشكر موصول إلى أستاذيّ الكريمين:

فضيلة الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة حفظه الله ورعاه.

فضيلة الدكتور: وليد محمد العامودي حفظه الله ورعاه.

على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، بعد أن خصصا له جزءًا من وقتهما، فجادا فما بخلا، قدما فما تعبا، وأسبغا عليه من واسع علمهما، وسديد رأيهما، مما زاد البحث رفعة فجزاهما الله عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر الكبير إلى الجامعة الإسلامية هذا الصرح العلمي الشامخ، صاحبة المرتبة العلية، والمنارة العلمية، مخرجة الشهداء، وعلى دربهم القادة الأوفياء، ومن خلفهم أسود النصر والتمكين، وأخص بالذكر كلية أصول الدين، والأساتذة الكرام، والشكر موصول إلى عمادة الدراسات العليا صاحبة الرؤية السديدة.

وأسجل شكراً خاصاً لإخواني الذين قدموا لي يد العون والمساعدة ووقفوا معي بكل ما يملكون وعلى رأسهم أخي: كمال قويدر.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا أبي القاسم رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه، الحمد لله رب العالمين لك الحمد يا ربنا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، ولا حول ولا قوة لنا إلا بالله العلي العظيم، رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، هو قائدنا وقدوتنا فوق الأرض ويوم العرض على رب العالمين، أما بعد:

إن القرآن الكريم هو كتاب الهداية والرشاد، من عاش معه ذاق طعماً وحلاوةً للحياة، يعيش هادئ البال، مطمئن السريرة، قرير الضمير، لذلك أقبل عليه الدارسون، ونهل منه الكثيرون فارتقوا وارتفع شأنهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (سورة المجادلة الآية ١١)، فمن كان منا يبحث عن الخيرية فعليه بالقرآن، لقوله ﷺ:**(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)**[1] إن صلاح هذه الأمة يأتي باتباع منهج الله ﷻ والتمسك به، فالخير والصلاح في الاحتكام إلى هذا المنهج، لكي نعالج أمراض وعلل هذه الأمة التي ضعفت واهتزت مكانتها بعد أن كانت قائدة رائدة للعالم.

إن صلاح الأمة يأتي بتغيير النفوس، وتوجيه الدفة إلى الاتجاه الصحيح، حتى ترسو بنا على شاطئ العزة، والقيادة، والكرامة، حيث ميناء الأمان، ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ (سورة الرعد الآية ١١).

إن الإسلام دعوة عالمية كاملة متكاملة لا نقص فيها ولا تناقض ولا عوج، تميزت بها الأمة الإسلامية عن الأمم السابقة بالخيرية، ووقفت شامخة ثابتة تبشر وتنذر، تقدم للعالم نماذج للتغيير إلى الأفضل، والإصلاح إلى الأمثل، وتقود مشروع الحضارة والمدنية، وترفع لواء العدل والقسط قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١١٠)، لذلك كان لمنهج التغيير والإصلاح نصيب كبير للحديث عنه في كتاب الله ﷻ وتوجيهه وتبيينه، فكان لابد من الوقوف مع أساليب

---

(١) صحيح البخاري- باب رب سامع أوعي من مبلغ ج١ ص٢٤.

التغيير والإصلاح في القرآن الكريم، ليستلهم منها المؤمنون ما يوصلهم إلى الغاية المنشـــودة، وهي تعبيد الناس لله رب العالمين وحده لا شريك له.

أولاً: أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع من خلال ما يلي:

١ -تعلقه بأشرف الكتب وأجلها وهو القرآن الكريم المنبع الصافي والعطر الزاكي.

٢ -إن القرآن الكريم هو خير وأفضل مناهج الحياة ففيه علاج، ودواء لكل داء وعلة تعاني منها الشعوب والمجتمعات.

٣ -أن هذا الموضوع يبحث في أساليب التغيير والإصلاح وأثرها في تغيير الواقع فـــي ظـــل مطالبة الشعوب الإسلامية في وقتنا الحاضر بالتغيير والإصلاح، وبحثها عنه، من خـــلال مـــا يحدث من ثورات تجتاح البلاد العربية فيما يسمى بالربيع العربي.

٤ -يعالج الموضوع كثيراً المشكلات الاجتماعيـــة، والاقتصـــادية، والتربويـــة، والسياســـية، والعسكرية، التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية والعربية.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١ -خدمة كتاب الله ﷻ وذلك بالكتابة في إحدى مواضيعه الكريمة.

٢ -أهمية تفسير القرآن الكريم لبيان أحكام الشريعة الإسلامية.

٣ -غفلة الكثير من الناس عن منهجيات التغيير والإصلاح وترســـيخ المفـــاهيم والأولويـــات لأساليب التغيير والإصلاح.

٤ -الوقوف على أسباب التغيير وكيفية الإصلاح والرغبة فـــي حـــل المشـــاكل الاجتماعيـــة والاقتصادية والسياسية التي تعاني منها الأمة الإسلامية.

٥ -دعوة الشباب المسلم إلى التغيير والوقوف على أساليبه والحاجة إلى الإصلاح الـــذي بـــه تتحقق الغايات ونصل إلى الأهداف المنشودة.

ثالثاً: أهداف الموضوع:

١ -استنباط منهجيات التغيير والإصلاح من السورة الكريمة.

٢ -بيان الطريق الصحيح للنهوض بالأمة الإسلامية ورفعتها.

٣ -بيان أهمية العقيدة ترسيخ العقيدة الصحيحة في ثبات الأمة أمام أعدائها.

٤ -المنهج القرآني هو الذي يصلح لحل جميع المشكلات التى تواجه الأمة.

٥ -شمولية وتميز المنهج القرآني عن باقي المناهج الأرضية.

رابعاً: الجهود السابقة:

١ -بعد مراسلة مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، وجدت الموضوع بكراً لم يتطرق له أحد.

٢ -منهجيات في الإصلاح والتغيير في ضوء سورة عبس للطالبة ابتسام سمور وهي رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية غزة ١٤٣٢ه ٢٠١١م.

٣ -هذا البحث كان ضمن سلسلة تحدث عن منهجيات التغيير والإصلاح في سورة القرآن الكريم وهو المشروع الذي قامت به كلية أصول الدين، حيث تم توزيع سور القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس على طلاب قسم التفسير وعلوم القرآن.

خامساً: منهج البحث:

لقد اعتمدت في بحثي على المنهج الاستقرائي الاستنباطي وذلك كالتالي:

١ -كتابة الآيات بالرسم العثماني.

٢ -الدراسة الموضوعية العميقة لسورة آل عمران.

٣ -الوقوف على أبرز منهجيات التغيير والإصلاح الجوهرية في السورة الكريمة.

٤ -الرجوع إلى المصادر القديمة والحديثة في التفسير.

٥ -الاستعانة بالأحاديث الشريفة التي تخدم الموضوع، والاستدلال بها على ما ورد في الرسالة، مع نقل الحكم عليها إذا لم تكن في الصحيحين.

٦ -مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق والتعليق.

٧ -وضع الآيات القرآنية بين قوسين مزهرو ين، والأحاديث النبوية بين شاولتين من نوع " "، والاقتباسات بين ( ).

٨ -توثيق المراجع بذكر اسم الكتاب فالمؤلف والجزء والصفحة، وإحالة التفاصيل إلى فهرس الموضوعات.

٩ – ترتيب المصادر والمراجع في مجموعات حسب الأحرف الهجائية.

١٠ -تذييل الرسالة بخاتمة تلخص موضوع الرسالة وتذييلها بأربعة فهارس وهي:

١ فهرس الآيات القرآنية.

٢ فهرس الأحاديث الشريفة.

٣ فهرس المصادر والمراجع.

٤ فهرس موضوعات الرسالة.

سادساً: خطة البحث:

المقدمة وتشتمل على ما يلي:

أهمية الموضوع

أسباب اختيار الموضوع

الدراسات السابقة

منهج البحث

تمهيد

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المنهج

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المنهج لغة.

المطلب الثاني: تعريف المنهج اصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين الشرعة والمنهاج.

المبحث الثاني: مفهوم التغيير

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التغيير لغة.

المطلب الثاني: التغيير اصطلاحاً.

المطلب الثالث: وسائل التغيير.

المبحث الثالث: مفهوم الإصلاح

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإصلاح في اللغة.

المطلب الثاني: الإصلاح اصطلاحاً.

المطلب الثالث: أهمية الإصلاح.

الفصل الأول

مدخل إلى سورة آل عمران

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف بالسورة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تسميتها وعدد آياتها وفضلها.

المطلب الثاني: محور السورة.

المطلب الثالث: الجو الذي نزلت فيه.

المبحث الثاني: المناسبات في السورة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة سورة آل عمران لما قبلها سورة البقرة.

المطلب الثاني: مناسبة سورة آل عمران لما بعدها سورة النساء.

الفصل الثاني

المنهجيات العقائدية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة التوحيد وأهميته.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة التوحيد.

المطلب الثاني: أهمية التوحيد.

المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في التوحيد.

المبحث الثاني: الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإسلام أصل الرسالات.

المطلب الثاني: اختيار الأنبياء عليهم السلام واصطفائهم.

المطلب الثالث: محاجة أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثالث: التوكل على الله.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التوكل على الله وفضله.

المطلب الثاني: أركان التوكل على الله.

المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في التوكل على الله.

الفصل الثالث

المنهجيات التربوية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التربية بضرب الأمثال.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الأمثال لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية الأمثال وأنواعها.

المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في التربية بالأمثال.

المبحث الثاني: التربية بالأحداث.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التربية بالأحداث لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: خصائص التربية بالأحداث.

المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في التربية بالأحداث.

المبحث الثالث: التربية بالقصص.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم القصص لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أنواع القصص وفوائدها.

المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في التربية القصص.

الفصل الرابع

المنهجيات القيمية والأخلاقية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته.

المطلب الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: المراتب الأساسية للتغيير.

المبحث الثاني:الشورى.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الشورى وأهميتها.

المطلب الثاني: فوائد الشورى حكمها.

المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في الشورى.

المبحث الثالث: العلم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العلم.

المطلب الثاني: حكم العلم.

المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في العلم.

المبحث الرابع: الرفق.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الرفق.

المطلب الثاني: أهمية الرفق.

المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في الرفق.

الفصل الخامس

منهجيات التغيير والإصلاح في السنن الإلهية.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم السنن الإلهية وأهميتها وحكمها.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم السنن في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أهمية العلم بالسنن الإلهية.

المطلب الثالث: حكم العلم بالسنن الإلهية.

المبحث الثاني: السنن الإلهية في سورة آل عمران.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سنة مداولة الأيام بين الناس.

المطلب الثاني: سنة الابتلاء والتمحيص.

المطلب الثالث: سنة الإملاء والاستدراج.

المبحث الثالث: منهجيات التغيير الإصلام في السنن الإلهية في غزوات سورة آل عمران.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: منهجيات التغيير والإصلاح في غزوة بدر الكبرى.

المطلب الثاني: منهجيات التغيير والإصلاح في غزوة أحد.

المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في غزوة حمراء الأسد.

المطلب الرابع: منهجيات التغيير والإصلاح في غزوة مؤتة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي سيتوصل إليها الباحث.

تمهيد

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مفهوم المنهج

المبحث الثاني: مفهوم التغيير

المبحث الثالث: مفهوم الإصلاح

المبحث الأول

مفهوم المنهج

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: المنهج لغةً

المطلب الثاني: المنهج اصطلاحاً

المطلب الثالث: الفرق بين الشرعة والمنهجية

المطلب الأول

تعريف المنهج لغة

المنهج في اللغة: مشتق من النهج بمعنى الطريق ويقال نهج الطريق: بينة، وهو منهاج مستقيم[١]، والنهج: الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج: وضح، ومنهج الطريق ومنهاجه، ومنه قولهم: نهج الثوب وأنهج: بان فيه من أثر البلى[٢].

ونهج الطريق ينهجه نهجاً: سلكه، طريق ناهجة: أي واضحة، والمنهج والمنهاج: الطريق الواضحة [٣]، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً[٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (سورة المائدة الآية ٤٨)، أي طريقاً واسعاً واضحاً في الدين[٥]، والنهج: الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال[٦]، والطريق المستقيم[٧]، والمنهاج الخطة المرسومة[٨]، والمنهاج كالمنهج، وأنهج الطريق صار نهجاً، والنهج الطريق المستقيم[٩].

يقول ابن فارس: (نهج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان: **الأول:** النهج الطريق، والمنهج الطريق أيضاً، والجمع المناهج، **والثاني:** الانقطاع، وأتانا فلان ينهج: إذا أتى مبهوراً، منقطع النفس، وضربت فلاناً حتى أنهج: أي سقط) [١٠].

ويرى الباحث أن المنهج: لفظ مشتق من النهج، تدور معانيه اللغوية حول: البيان، والإيضاح، والانقطاع، والاستقامة في الطريق.

---

(١) معجم مقاييس اللغة- ابن فارس ج٣ ص ٨٤٥.
(٢) المفردات- الأصفهاني ص٥٠٦.
(٣) الوافي معجم وسيط اللغة العربية- عبد الله البستاني ص٦٥٥.
(٤) لسان العرب- ابن منظور ج٦ ص٢٢٧.
(٥) روح المعاني- الألوسي ج٦ ص١٥٣.
(٦) الكليات- الكفوي ص٩١٣.
(٧) لسان العرب- ابن منظور ج٦ ص٢٢٧.
(٨) المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية ج٢ ص٩٩٥.
(٩) لسان العرب- ابن منظور ج٢ ص٤٤٦، أساس البلاغة- الزمخشري ص٤٧٤.
(١٠) معجم مقاييس اللغة- ابن فارس ص١٠٠٠.

المطلب الثاني

تعريف المنهج اصطلاحاً

إن الناظر إلى أقوال العلماء في تعريفهم للمنهج اصطلاحاً يجد أنهم عرَّفوه بتعريفات كثيرة أذكر منها على سبيل الإجمال لا الحصر ما يلي:

قال الإمام الطبري: (أما المنهاج فإن أصله الطريق البين الواضح) [١]، وقريباً منه ما أورده ابن كثير في تفسيره قائلاً: (هو الطريق الواضح السهل) [٢].

قال الإمام القرطبي: (المنهاج الطريق المستمر وهو النهج والمنهج) [٣]، وقال الآلوسي: (وكذلك الطريق المستقيم)[٤]، وقال وهبة الزحيلي: (منهاجاً: طريقاً واضحاً مستمراً يسير عليه الناس في الدين)[٥]، والطريق الواضح البين، والمنهاج في الدين الطريق البين لا لبس فيه، ولا إبهام ويستمر عليه الناس ويسيرون[٦].

ويرى الباحث أن المنهج القرآني: هو الطريق المستمر، الواضح البين، الذي لا لبس فيه، ولا إبهام، حددته الشريعة الإسلامية، ليسير عليه الناس ويستمروا.

المطلب الثالث

الفرق بين الشرعة والمنهاج

عند معرفة الفرق بين الشرعة والمنهاج فإن قوله تَعَالَىٰ:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(سورة المائدة الآية ٤٨)، هو خير موضح ومبين لهذا الفرق، هناكَ فرق بين الشرعة والمنهاج، فالشرعة تفصيل الأحكام مثل وجوب الصلاة، والمنهجية: فهي كيف وصلنا إلى أن الصلاة فريضة، والجواب هو: من النصوص القطعية من الكتاب والسنة[٧].

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن- الطبري ج٤ ص٦٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ج٢ ص٦٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ج٣ ص٥٦١.

(٤) روح المعاني- الألوسي ج٣ ص١٥٣.

(٥) التفسير المنير- وهبة الزحيلي ج٢ ص٢١٤.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن- الأصفهاني ص٥٠٦ .

(٧) سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير- صلاح سلطان ص٢٣.

١ -قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩)، تشير الآية إلى منهجية في اتخاذ القرار هو أن يكون قرار الحرب داخل المدينة وخارجها، أو أن نجعل البئر أمامنا أو خلفنا، وأن نعطي ثلث ثمار المدينة لبعض قبائل العرب ليخذلوا المشركين عنا.

هذه آثار وأحكام، وشرعة لمنهجية الشورى في اتخاذ القرارات[١].

٢ -جاء في الحديث عند الإمام أحمد عن عبد الله بن الزبير ﷺ قال: جاء رجل من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقال: "إن أبي أدركه الإسلام وهو شيخ كبير لا يستطيع ركوب الرحل والحج مكتوب عليه أفأحج عنه **قال: أنت أكبر ولده** قال: نعم، **قال: أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه أكان ذلك يجزئ عنه** قال: نعم، قال: **فاحجج عنه**"[٢].

في هذا الحديث تجد أن النبي ﷺ لو أجاب الرجل مباشرة "**فاحجج عنه**" فقط لكان حكماً شرعياً لكنه ﷺ بين المنهجية التي وصل بها إلى الحكم وهي القياس على وجوب أداء الديون للعباد، وبالتالي يجب أداء حقوق الله عن الأقارب[٣].

٣ -جاء في الحديث عند الإمام البخاري عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ:" **قال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**"[٤].

في هذا الحديث منهجية ترسي ضرورة التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة إلى الله، ولا يعطي الحديث أي شرعة تفصيلية[٥].

وبذلك يتضح لنا أن المنهجية هي الموضحة والمبينة لكيفية الوصول إلى تفصيل الأحكام وهي الشرعة، فالأولى مكملةً للثانية.

---

(١) سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير- صلاح سلطان ص٢٣.

(٢) مسند الإمام أحمد ح٢٦ ص٤٧، قال الإمام الألباني صحيح انظر التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ج٦ ص١٤٩.

(٣) سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير- صلاح سلطان ص٢٣.

(٤) صحيح البخاري- كتاب العلم- باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ج١ ص٢٥.

(٥) سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير- صلاح سلطان ص٢٤.

المبحث الثاني

مفهوم التغيير

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التغيير لغةً

المطلب الثاني: التغيير اصطلاحاً

المطلب الثالث: وسائل التغيير

المطلب الأول

التغيير لغةً

تعددت آراء العلماء حول تعريف التغيير أذكر منها:

قال الراغب الأصفهاني: (التغيير يقال على وجهين: **أحدهما:** لتغيير صورة الشيء دون ذاته، يقال: غيرت داري إذا بنيتها بناء غير الذي كان، **والثاني:** لتبديله بغيره نحو: غيرت غلامي ودابتي إذا أبدلتهما بغيرهما)[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (سورة الرعد الآية ١١).

وذكر ابن منظور تعريف التغيير فقال: (ويقال تغير الشيء عن حاله: تحول، وغيره حوله وبدله كأنه جعله غير ما كان)[2]، ومنه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (سورة الأنفال الآية ٥٣).

وفي حديث جرير بن عبد الله: أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول:" **ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز منهم وأمنع لا يغيرون إلا عمهم الله تعالى بعقابه**"[3].

قال الزجَّاج: معنى "**يغيِّرون**"؛ أي: يدفعون ذلك المنكر بغيره من الحقِّ[4].

والمتأمل فيما أورده صاحب المفردات واللسان يجد الكلمة تأتي لثلاثة معان: **أولها:** تغيير صورة الشيء دون ذاته، **وثانيها:** تبديله بغيره وهو معنى تحويله وجعله غير ما كان، **وثالثها:** التخفيف وإصلاح شأن الشيء كما خفف صاحب البعير عن بعيره من رحله ويصلح من شأنه[5].

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص٣٦٨.

(٢) لسان العرب ج٥ ص٤٠.

(٣) مسند أحمد ج٣١ ص٥٧١، قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٧٤٩ في صحيح الجامع.

(٤) تهذيب اللغة- الأزهري ج٨ ص١٨٨-١٨٩.

(٥) التغيير في حياة الأمم وعوامل الثبات والاهتزاز- أحمد محمد العسال ص٢٢٤.

المطلب الثاني

التغيير اصطلاحاً

قال الجرجاني: (التغيير هو إحداث شيء لم يكن قبله، وأيضاً: هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى)[١]، وقيل إن التغيير هو تبديل شيء بما يضاده، فقد يكون تبديلَ صورة جسم كما يقال: غَيّرتُ داري، ويكون تغيير حال وصفة ومنه تغيير الشيب أي صباغه، وكأنه مشتقّ من الغير وهو المخالف[٢].

استعمالات القرآن للفظة التغيير:

وقد ورد مفهوم (التغْيير) في القرآن الكريم في عدة مواضع، ويقود التدبُّر العميق لكلِّ موارد لفْظ التَّغْيير في القُرآن الكريم، إلى مجموعة من المعاني يُمكن ترْصيفُها في النقاط الدلاليَّة التَّالية:

١ -**تغْيير خلْق الله:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ ﴾ (سورة النساء الآية ١١٩).

فهذه الآية جاءت في معرض حديثه تعالى عن غَواية إبليس- لعنه الله- لعباد الله ودعائِه إيَّاهم إلى طاعته، وتزْيينه لهم الضلالَ والكفرَ حتَّى يزيلهم عن منهج الطَّريق، ومن معاريضِه- لعنه الله- أمْره للعباد بتغيير خلق الله[٣].

وقد اختلف العلماء في هذا التَّغْيير إلى أقوال، أبرزها:

أ - **تغْيير دين الله:**

وذلك أنَّ آية النِّساء تتفق مع قوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ (سورة الروم الآية ٣٠).

وتغْيير دين الله له وجهان:

---

(١) التعريفات ص٨٧.

(٢) التحرير والتنوير- الطاهر ابن عاشور ج١٠ ص٤٥.

(٣) جامع البيان- الطبري ج٩ ص٢١٣.

الوجه الأوَّل: أنَّ الله تعالى فطر الخلق على الإسلام يوم أخرجَهم من ظهر آدم كالذَّرّ، وأشهدَهم على أنفسهم أنَّه ربُّهم وآمنوا به، فمَن كفر فقد غيَّر فطرة الله التى فطر النَّاس عليْها، وهذا معنى قولِه ﷺ: "**ما مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ على الفِطْرةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه ويُنَصِّرَانِه ويُمَجِّسَانِه**"(١).

الوجه الثاني: أنَّ المراد من تغْيير دين الله ﷻ هو تبْديل الحلال حرامًا والحرام حلالاً(٢).

ب -تغْيير الصفات الحسِّيَّة للخلق:

فقوله تعالى: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾: هو التَّغيير المتعلِّق بالظَّواهر الحسِّيَّة للخلْق، مثل قطع الأذن وفقء الأعين والحصاء وكذلك الوصْل والنمص والوشم الذي نهى الرسول ﷺ عنه، رَوى عبد الله بن مسعود ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ: "**لعن الله الواصِلات والواشِمات**"(٣)، قال: وذلك لأنَّ المرأة تتوصَّل بهذه الأفعال إلى الزنا(٤).

٢ -تغْيير نعمة الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال الآية ٥٣).

وظاهر النِّعمة: أنَّه يرادُ بها ما يكون فيه العِباد من سَعة الحال والرَّفاهية والعزَّة والتَّمكين والخصب، والتغيير يحتمل خمسة أوجه:

أحدها: لم يكُ مغيراً نعمة أنعمها عليهم بالنصر لهم على أعدائهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الثقة به والتوكل عليه.

والثاني: لم يكُ مغيراً نعمته عليهم في كف أعدائهم عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعته والكف عن معصيته.

والثالث: لم يكُ مغيراً نعمته عليهم في الغنى والسعة حتى يغيروا ما بأنفسهم . من تأدية حق الله تعالى منه.

والرابع: لم يكُ مغيراً نعمته في الثواب والجزاء حتى يغيروا ما بأنفسهم من الإيمان.

---

(١) صحيح البخاري- كتاب الجنائز- باب ما قيل في أولاد المشركين ج٢ ص١٠٠.

(٢) جامع البيان في تأويل أي القرآن- الطبري ج٥ ص١٨٣، التفسير الكبير- الرازي ج١١ ص٤٩-٥٠.

(٣) صحيح البخاري- كتاب الجنائز- باب الموصولة ج٧ ص١٦٦.

(٤) التفسير الكبير- الرازي ج١١ ص٤٩-٥٠.

والخامس: لم يكُ مغيراً نعمته عليهم في الإرشاد حتى يغيروا ما بأنفسهم من الانقياد[١].

وسبب ذهاب هذه النعم وتغيُّرها راجع إلى:

- أنَّهم قابلوا النِّعم بالكفر والفسوق والعصيان، فلا جرَم استحقُّوا تبْديل النعم بالنِّقَم، والمِنَح بالمِحَن[٢].
- وزاد ابن عطية الآية توضيحاً، فقال: تغيير ما أُمِروا به من طاعة الله، تغْيير إمَّا منهم وإمَّا من النَّاظر لهم، أو ممَّن هو منهم بسبب، كما عبَّر تعالى بالمنهزِمين يوم أحُد بسبب تغْيير الرُّماة ما بأنفسهم[٣].
- وذهب الفخر الرازي إلى أنَّه تعالى أنعم عليْهم بالعقل والقدرة، وإزالة الموانع وتسهيل السبل، فإذا صرفوا هذه الأحْوال إلى الفسق والكفْر، فقد غيَّروا نعمة الله تعالى على أنفُسِهم[٤].
- وذهب الطاهر بن عاشور إلى مثله فقال: فتغْيير النعمة إبدالُها بضدِّها وهو النقمة وسوء الحال؛ أي: تبديل حالة حسنة بحالة سيئة... والمراد بهذا التَّغْيير: تغيير سببه، وهو الشُّكْر بأن يبدلوه بالكفْران[٥].

٣ -تغيير ما بأنفس القوم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (سورة الرعد الآية ١١).

وهذه الآية جاءت بعد أن ذَكَر سبحانه إحاطة علْمِه بالعباد وأنَّ لهم معقِّبات ملائِكة يحفظونهم؛ فقال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾، فكلام جَميع المفسِّرين يدلُّ أنَّ المراد: لا يغيِّر ما هم فيه من النِّعم بإنزال الانتقام. إلا بانغماسهم في المعاصي[٦].

---

(١) النكت والعيون- الماوردي ج٢ ص٣٢٧.

(٢) غرائب القرآن ورغائب القرآن- النيسابوري ج٣ ص٤١٠.

(٣) التحرير والتنوير- الطاهر بن عاشور ج١٠ ص٤٥.

(٤) التفسير الكبير- الرازي ج١٣ ص١٨٧.

(٥) التحرير والتنوير- الطاهر بن عاشور ج١٠ ص٤٥.

(٦) التفسير الكبير- الرازي ج١٩ ص٢٢.

فتغْيير ما بأنفُس القوم يراد به تغْيير ما بها من الأعمال والأحْوال والأخلاق، التى كـــان عليْهـــا العباد وقت ملابستِهم بالنعمة، واتَّصفوا بعد ذلك بما ينافيها بكفْران نعم الله تعالى وغمط إحسانِه وإهمال أوامره ونواهيه.

إن ما تنظره الأمة من نصر الله ﷻ وتوفيقه ينبغي أن يرتبط بما تحدثه في حياتها مـــن التغيير الإيجابي والذي يتمثل في فعل الطاعات وترك المحرمات والأخذ بالأسباب والإعداد لكل أمر(١).

قال الإمام ابن تيمية: "هذا التَّغيير نوعان:

أحدهما: أن يُبْدوا ذلك فيبقى قولاً وعملاً يترتَّب عليه الذَّمُّ والعقاب.

والثَّـــاني: أن يغيِّروا الإيمان الذي في قلوبهم بضدِّه من الرَّيب والشَّكّ والبغض، ويعزموا علـــى ترك فعل ما أمر الله ﷻ به ورسوله، فيستحقُّون العذاب هنا على ترك المأمور، وهناك على فعل المحظور، وكذلك ما في النفس ممَّا يناقض محبَّة الله ﷻ، والتوكُّل عليه، والإخلاص له، والشُّكر له، يعاقب عليه؛ لأنَّ هذه الأمور كلها واجبة، فإذا خلا القلب عنها، واتَّصف بأضدادها، استحقَّ العذاب على ترك هذه الواجبات، وبهذا التَّفصيل تزول شُـــبَه كثيـــرة، ويحصـــل الجمـــع بـــين النصوص، فإنَّها كلَّها متَّفقة على ذلك"(٢).

وقال صاحب الظلال: "لا يغير نعمةً أو بؤسًا، ولا يغيِّر عزًّا أو ذلَّة، ولا يغير مكانةً أو مهانة إلاَّ أن يغيِّر الناس، وبعْد تقرير المبدأ يبرز السِّياق حالة تغْيير الله ﷻ ما بقومٍ إلى السوء؛ لأنه في معرض الذين يستعْجِلون بالسيِّئة قبل الحسنة"(٣).

إن في الآية تغييرين تغيير الله ﷻ ما بأنفس القوم، وتغيير القوم ما بأنفسهم، وإن التغيير الذي ينبغي أن يحدث أولاً هو التغيير الذي جعله الله مهمة القوم وواجبهم باقدار الله لهم علـــى ذلك، وإن حدث أي تهاون في الخلط بين التغييرين وإدخال التغيير الذي يحدثه الله تعالى بالتغيير الذي يقوم به القوم أو العكس، يفقد الآية فعاليتها وتضيع فائدة السنة الموجودة فيها(٤).

---

(١) في إشراقه آية- عبد الكريم بكار ص١٨٨.

(٢) مجموع الفتاوى- ابن تيمية ج١٤ ص١٠٩.

(٣) في ظلال القرآن- سيد قطب ج٥ ص٧٨.

(٤) حتى يغيروا ما بأنفسهم- جودت سعيد ص٤٦.

المطلب الثالث

وسائل التغيير

تقديم:

إن المتأمل في حديث النبي ﷺ: "**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**"(١)، يجد أن الحديث ورد بصيغة الأمر، والأمر يفيد الوجوب فدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال القاضي عياض: "هذا الحديث أصل في صفة التغيير فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً"(٢).

كما أن مسألة التغيير مسألة اجتهادية، الأصل فيها شرعية أساليب التغيير ما دامت لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية، ولكن عملية التغيير تخضع لظروف الدولة، وسمات النظام الذي يحكم البلاد، وحلفائه، وقوته الشعبية، والعسكرية، وظروف الزمان والمكان، والمعطيات الإقليمية، والدولية المحيطة(٣).

وإن اختيار هذا الأسلوب أو ذاك يجب أن يخضع لحساب عسير وتمحيص دقيق؛ لأن عملية التغيير تحتاج إلى كثرة المعرفة والدراية في القرآن والسنة، وفي سنن الله، وتجارب التغيير، ودراسة الواقع، ومعرفة موازين القوى؛ لاكتشاف ما يجب عمله وكيف ومتى يعمل! ولكي لا يصبح العمل التغييري مختبراً يجرب فيه على البشر، فإن لم ينفع يجرب أسلوب آخر وكأن شيئا لم يكن(٤).

إن لكل أسلوب من أساليب التغيير مراحله وإجراءاته المحددة التي تجسده على الأرض، يتحدد معها نوع الشعارات وأشكال التعبئة، والتحريض، ولغة الخطاب الجماهيري، ونوع التنظيم، والعلاقات بالناس(٥).

---

(١) صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ص٥١.

(٢) شرح صحيح مسلم- النووي ج ٢ ص ٢٠-٢٢.

(٣) دور أهل الحل والعقد في نقض القرارات السياسية- مجدي قويدر ص ١٥٥.

(٤) نظريات التغيير- منير شفيق ص ٦٤.

(٥) دور أهل الحل والعقد في نقض القرارات السياسية- مجدي قويدر ص ١٥٦.

إن تحديد سمة مرحلة التغيير وأدواته يحتاج إلى عقل راشد، وحس مرهف بالأوضاع، وجهد مضني في امتلاك الوسائل والأدوات للوصول لأفضل أسلوب، و إلا فإن الارتجال والضحالة تقود إلى كوارث في عملية التغيير، فتضيع الفرص السانحة، وتنتكس الأوضاع أكثر، مما يعني استمرار ذل الأمة لعشرات السنين، وتتعطل المصالح ويظل يقبع ألوف من الناس في الأغلال ويصعد ألوف إلى المشانق أو ينالهم رصاص الظلم في قتل جماعي بطيء[١].

وسائل التغيير:

لا نستطيع أن نحصر التغيير في أسلوب معين ونجعله صالحاً لكل وقت، بل إن ظروف كل بلد ومكانه هي التي تحدد نوع الأسلوب التغييري:

أولاً: التغيير بالشورى:

إذا كان النظام السائد يقر بالمعارضة، وحرية الرأي، والعمل العلني، ويسمح بالتداول السلمي على السلطة من خلال الاحتكام إلى صناديق الاقتراع، فإن نظرية التغيير بالعنف تكون أبعد النظريات، ويحل مكانها التغيير بالشورى المبني على العمل الإقناعي، والتوجه إلى الرأي العام وإجراء الإصلاح والتغيير من خلال مؤسسات قاعدية اجتماعية وقاعدة جماهيرية، والتفاهم مع الحاكم نفسه[٢].

ويمكن التحالف مع قوى اجتماعية لخوض عملية الإصلاح والتغيير من خلال الانتخابات، بشرط أن يتشكل رأي عام حاسم في رفض الانقلاب على الخيار الديمقراطي، والاتفاق بين جميع الأطراف على احترام وقبول نتائج الانتخابات[٣].

إن نظرية التغيير بالشورى، وإطلاق الحريات، والاحتكام إلى صناديق الاقتراع دائماً تأتي بخصوم من ينادون بالديمقراطية، فيحاولون حرمان الإسلاميين منها بعد أن تأكدوا أنهم هم الخاسرون في هذا الميدان.

---

(١) انظر: أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي- محمد أحمد الراشد ج ٤ ص ١١٠، نظريات التغيير- منير شفيق ص٤٦-٤٧.

(٢) انظر: دور أهل الحل والعقد في نقض القرارات السياسية- مجدي قويدر ص ١٥٧.

(٣) انظر: نظريات التغيير- منير شفيق ص ٦٠.

ويجب أن يتحول سلاح الديمقراطية إلى سلاح ضد أدعيائها؛ لكشف حقيقتهم، وإرباك خططهم السياسية، وإزالة الستار عن فسادهم المالي، والإداري، والأخلاقي، والأمني[1].

من هنا أستطيع القول بأن نظرية التغيير بالشورى هي أحد خيارات التغيير لدى المعارضة الإسلامية مع بقاء الخيارات الأخرى في العمل مفتوحة وفقاً لنضوج كل خيار وظروف كل بلد.

ثانياً: التغيير بالثورة أو الخروج على الحاكم:

إذا كان النظام السائد يحقر كل نصح أو معارضة، ويضيق ذرعاً بالشورى، ويعمل على تكميم الأفواه، ويغتال التعددية، ويهدر حقوق الإنسان وكرامته، فإذا أغلق الباب في وجه التغيير الديمقراطي وتفاقم الظلم، فإن اختيار أسلوب التغيير بالخروج أو الثورة ينبغي أن يخضع لإدراك ميزان القوى وظروف الصراع والموازنات المصلحية.

وذلك لأن قرار اللجوء إلى الثورة أخطر الخيارات إذا باء بالفشل ويعود بالكوارث ويزيد تفاقم أوضاع السوء وتسلط الحكام.

لذلك حرص علماء الأمة بعد تجارب مريرة على التعامل مع الخروج بحذر شديد وغلب عليهم منع الخروج سدا للذريعة[2].

لذلك يحتاج الخروج أو الثورة إلى توفر شروط لتحقيق شرعيته وضمان نجاحه وهي:

١- القوة المسلحة التي تستطيع إقامة الحكم، ومواجهة الحكومة، لأن منطق الحكومات هو القوة وليس قوة المنطق، لذلك تخمد كل صوت بالحديد والنار ويضرب كل تحرك شعبي يريد التغيير، ولا يفل الحديد إلا الحديد.

٢- القاعدة الجماهيرية العارمة التي تشبه الإجماع، التي إذا تحركت لا يستطيع أحد أن يواجهها أو يصد مسيرتها؛ لأنها كالموج الهادر والسير العارم لا يقف أمامه شيء، حتى القوات المسلحة؛ لأنها في النهاية جزء منها، والجماهير ليسوا إلا أهلاً لهم وأبناءً أو إخواناً[3].

---

(١) انظر: نظريات التغيير- منير شفيق ص ٦٨.

(٢) انظر: دور أهل الحل والعقد في نقض القرارات السياسية- مجدي قويدر ص ١٥٨-١٥٩.

(٣) انظر: فقه الدولة في الإسلام- يوسف القرضاوي ص ١٢٥.

ومن أعظم مشاهد التغيير بالثورة ما حدث في مكة، عندما تغيرت قناعات أهل مكة تجاه الأصنام، فأول ما قام به النبي ﷺ قام بهد الأصنام في قلوبهم وعقولهم ومن ثم هدمها واقعاً عندما دخلوا في الإسلام عن قناعة تامة.

وبدون القوة المسلحة والقاعدة الجماهيرية العارمة تكون الثورة مغامرة بأرواح الناس ودمائهم.

إن المنع من التغيير بالقوة هو بسبب ما يصحب بعض عمليات الخلع من الفتن والانتقام بقتل الظالم وحاشيته ورجال دولته، فإذا تعفف التغيير عن ذلك، وكان ممكناً دون ظلم أو قتال عنيف تسيل فيه الدماء، وجب أو جاز، وهذا الانقلاب الأبيض أو شبه الأبيض يمكن تصوره.

نظرية الصبر:

إذا كان النظام القائم استبدادياً لا يسمح بالتداول للسلطة من خلال الانتخابات، ويصادر الحريات، ويشيع جواً من الإرهاب النفسي والفكري، ولم تمتلك المعارضة قاعدةً جماهيرية عريضة، وقوةً تنفيذية مسلحة، فإن نظرية الصبر والعمل على مستوى الفرد تربية وتوعية وتثقيفاً، والتغيير باللسان والقلم والنصح، ضمن حدود الشرعية، ومن غير صدام بالنظام هي نظرية الممكن والمتاح ضمن ظروف محددة، وموازين قوى معينة[1].

إن نظرية الصبر التي يدعو إليها القرآن والسنة النبوية لا تعني السكوت على الفسق، والرضا بالضيم، والقبول بالانحراف، بل تدعو إلي عدم التسرع، وإثارة الفتنة العمياء حالة الضعف، وقلة الإمكانيات.

إن على حملة الأقلام وأرباب الألسنة أن يشتبكوا مع عوج الحاكمين في معارك حامية لا تنتهي أو ينتهي هذا العوج ، وكل حركة في هذا السبيل جهاد، وكل تضحية في هذا الميدان شهادة[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٢٠٠).

---

(١) انظر: نظريات التغيير– منير شفيق ص ٦٣.

(٢) انظر: حقوق الإنسان– محمد الغزالي ص ٧٣.

إن هذه الطريقة حدودها مرسومة ضمن إحداث الوعي، وإبقاء الراية الإسلامية مرفوعة وبـــذر الحب في الأرض عساها تقف على سوقها مستقبلاً فتجد نظرية العمل التي تناسب الظروف من أجل تغيير جزري أو يصبح التغيير الشامل على أجندة المعارضة.

إن التغيير بالثورة لا يعني أن تساق الأمة إلى هلاكها ولكن الأمور تقدر بقدرها فإذا كان في صمتهم هلاكهم فلا بد من التضحية والتحرك وكسر حاجز الصمت ورفع الصوت مطالبـــاً بالتغيير والإصلاح، وهذا يحتاج إلى قوة عارمة كما أسلفنا قاعدة جماهيريـــة لـــديها الشـــجاعة والجرأة على بالحق وقبل ذلك الصبر على المحن والآلام حتى تحقق الآمال.

ثالثاً: التغيير بالثورة السلمية (المظاهرات السلمية):

إن في التغيرات الجارية في العالم العربي والإسلامي وحدوث الثـــورات والتظـــاهرات السلمية المطالبة بحقوقها وحريتها التي وصلت في بعض الأحيان إلى الإطاحة بالأنظمة الجائرة الظالمة الطاغوتية، القول بأن المظاهرات السلمية من الأمور المشروعة لأنها تنادي بالحقوق من غير إشهار للسلاح.

فالمظاهرات السلمية، التي لا تُشهر فيها السلاح، ولا تسفك فيهـــا الـــدماء، ولا تخـــرج للاعتداء على الأنفس والممتلكات ليست خروجًا مسلحًا على الحكام، وهي وسيلة مـــن وســـائل التعبير عن الرأي، ومن وسائل التغيير، ومن وسائل الضغط على الحـــاكم للرضـــوخ لرغبـــة الشعب. فإن كان الرأيُ صوابًا، والتغييرُ للأصلح، ورغبةُ الشعب مشروعةً – كانت المظـــاهرةُ حلالاً، بشرط ألاّ يترتب عليها مفسدة أعظم من مصلحتها المطلوبة؛ فحكم المظـــاهرات حكـــم الوسائل، وللوسائل حكم الغايات والمآلات[1].

ويرى القرة داغي: إن المظاهرات السلمية ليست خروجا عَلى الحاكم، أو السلطة، وإنما لها ثلاث حالات، أو مراحل، وهي:

الحالة الأولى: أن تكون المطالبة بإصلاح النظام فقط سواء كان إصـــلاحا شـــاملاً، أو لـــبعض الجوانب، فهذا أمر مشروع، بل مطلوب داخل في باب المناصحة لأولياء الأمور، ومـــن بـــاب التواصي بالحق، ولا يدخل في باب الخروج على الحاكم قطعاً.

---

(١) حكم المظاهرات السلمية– الشريف حاتم العوني، موقع قصة الإسلام www.islamstory.com. الأربعـــاء ٩ فبراير ٢٠١١.

الحالة الثانيـــة: أن تبدأ المظاهرات الشعبية العارمة مطالبة بالإصلاحات، ثم لا يســتجيب لهــا الحاكم، وإنما يواجهها بالعنف والقتل والضرب والتعذيب، كما رأينا ذلك في تــونس، ومصــر، واليمن، وسوريا، وليبيا، ففي هذه الحالات تتغير المطالبة إلى التغيير وإسقاط نظام الحكم، وهذا أيضاً أَمر مشروع، لسببين:

السبب الأول: أن الشعب هم في نظر الإسلام أهل الحل والعقد على سبيل الحقيقة ، فإذا طالــب جميعهم، أو جماهيرهم العظمى بالحل وفسخ العقد، فهذا حق لهم كما أن لهم الحق فــي العقــد والبيعة.

السبب الثاني: أن مقاصد الشريعة في نصب الحكام هي الحفاظ على مصالح الــبلاد والعبــاد، والحفاظ على الضروريات، فإذا عكس الحكام ذلك المقصد فبــدأ بالفســاد والإفســاد، والقتــل والتعذيب فقد شرعيته، وأصبح بلا غطاء شرعي ولا شعبي.

ثم إن هذه المطالبة ليست خروجاً على الحكم، وإنما استعمال الشعب حقه الذي منحه الله تعالى.

الحالة الثالثة: أن تبدأ المظاهرات من بدايتها بالمطالبة بإسقاط النظام[1].

إن تغيير النظام الظالم بكل الوسائل السلمية المتاحة واجــب، ومــن أهمهــا صــناديق الاقتراع، فهي الواجب الأول لو وجدت، أما إذا لم توجد، أو وجدت ولكن هيمن عليها النظــام الظالم فزوّرها، وحينئذ تكون الطريقة المثلى: المظاهرات السلمية الشعبية العامة.

والخلاصة أن هذه المظاهرات أو الثورات السلمية، وسائل لتغييــر المنكــر، وإزهــاق الباطل والظلم، وقد حققت أهدافها حتى ولو كانت لها تضحيات، وبما أنها سلمية مشروعة، وأن مآلاتها إلى الخير، وأن مقاصدها أيضاً مشروعة بل مطلوبة شرعاً، فتكون مشروعة بل مطلوبة شرعاً، علماً بأن ما حدث لبعض الثورات مثل ليبيا من حمل السلاح من باب الدفاع عن النفس، ولم يُغير طبيعة (السلمية) [2].

---

(١) التأصيل الشرعي للمظاهرات السلمية أو الثورات الشعبية- علي محي الدين القرة داغي ص١٠.

(٢) المرجع السابق

المبحث الثالث

مفهوم الإصلاح

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الإصـلاح لـغـةً

المطلب الثاني: الإصـلاح اصطلاحاً

المطلب الثالث: أهـمـيـة الإصـلاح

الإصلاح في اللغة

الإصلاح مأخوذ من الفعل صلَحَ، وصلَح: أصل واحد يدل على خلاف الفساد[١]، يقال رجل صالح في نفسه ومصلح في أعماله وأموره[٢]، وصلُح كصلَح: لغتان وصَلاحاً وصُلوحاً صدرها[٣].

والصَّلاح: هو سلوك طريق الهدى، وقيل هو استقامة الحال على ما يدعو إليه الفعل، والصلاح لا يستعمل في النعوت؛ فلا يقال: قول صلاح إنما قول صالح، والصالح: المستقيم الحال في نفسه، أو القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد، والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين والمرسلين[٤]، ومصلِح: اسم الفاعل من أصلَح[٥]، والصِّلاح (بكسر الصاد) مصدر المصالحة، والاسم منها هو الصلح، يذكر ويؤنث[٦].

وهو صلِح وصالح وصليح، وهو مصلِح في أموره وأعماله وقد أصلحه الله، والجمع صُلحاء وصلوح، وقوم صُلوح: متصالحون، كأنهم وصفوا بالمصدر، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه[٧].

وأصلحه ضد أفسده، وقد أصلح الشيء بعد فساده، أقامه، ويقال أصلح الدابة: إذا أحسن إليها فصلحت[٨].

---

(١) معجم مقاييس اللغة- ابن فارس ج١ ص٣٠٣.
(٢) كتاب العين- الفراهيدي ج٢ ص١٠٠١.
(٣) لسان العرب- ابن منظور ج٢ ص٥١٦، الجامع لأحكام القران- القرطبي ح١ ص٢٠٣.
(٤) الكليات- الكفوي ص٥٦.
(٥) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ج١ ص٢٠٣.
(٦) الصحاح- الجوهري ج٢ ص٤٠٦.
(٧) لسان العرب- ابن منظور ج٢ ص٥١٦-٥١٧.
(٨) تاج العروس ج٦ ص٥٤٨.

المطلب الثاني

الإصلاح اصطلاحاً

اختلفت تعريفات العلماء للإصلاح ولم يتفقوا على تعريف جامع، ويتضح ذلك من خلال التالي:

قال الأصفهاني: (والصلح يختص بإزالة النفار بين الناس يقال منه اصطلحوا وتصالحوا، وإصلاح الله تعالى للإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصلاح)[١].

تغيير الأحوال من السيئ إلى الحسن، ومن الفوضى والمخالفة إلى الالتزام والاستقامة[٢]، وقال الكفوي: (هو سلوك طريق الهدى وقيل: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه إليه العقل)[٣]. أما ما ورد في معنى الإصلاح والصلاح عند بعض المفسرين فنجد أن الإمام الزمخشري قال: (والصلاح هو الحصول على الحال المستقيمة النافعة)[٤]، وعند الآلوسي: (هو عبارة عن الإتيان بما ينبغي والاحتراز عما لا ينبغي)[٥].

أما الصلاح عند البقاعي: هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع[٦]، فالصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من الفساد[٧].

ذُكِر الإصلاحُ في القرآن أكثرَ من مائةٍ وسبعين مرَّة بأساليبَ متنوِّعةٍ وسياقاتٍ مختلفةٍ ومدلولات تَخْلُصُ إلى أنَّ كلَّ ما يؤدِّي إلى الكفِّ عن المعاصي ومجانبة الفساد، أو إلى فعلِ الطَّاعات واتباع الرَّشاد فهو إصلاح[٨]. وكلمة الإصلاح قد تبوّأت مكانًا في هذا القرآن، إذْ عُدَّتْ عُدَّتْ من جملة أخلاقه وفضائله التي دعا إليها وحثَّ على التزامها.

---

(١) مفردات القرآن ص٢٨٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ج١ ص٥٨، التعاريف- المناوي ج١ ص٦٧-٦٨.

(٣) الكليات ص٥٦١.

(٤) الكشاف ج١ ص١٧٩.

(٥) روح المعاني ج٢ ص٧.

(٦) نظم الدرر ج٤ ص١٤٥.

(٧) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير- ابن باديس ج١ ص٢٠٦.

(٨) انظر: المعجم المفهرس- محمد فؤاد عبد الباقي ص٥٠٤، الإصلاح في القرآن الكريم، الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ عز الدين رمضاني الجزائري، تاريخ نشر المقال يوم السبت ١٩ ديسمبر ٢٠٠٩م www.azeddin.com.

المطلب الثالث

أهمية الإصلاح

إن أهمية الإصلاح وضرورته تتجلى من خلال النقاط الآتية:

١ - **الإصلاح أمر يقتضيه التكليف، ويتطلبه الابتلاء،** لأن الإنسان مكلف بعمارة الكون وفق المنهج الإلهي، ونظراً لأنه مبتلى، والأشخاص متفاوتون في مقدار الطاعة والمعصية، مما يقتضي قيام المطيعين برد العاصين إلى جادة الصواب، وإلا هلكوا جميعاً[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥١).

وشبه رسول الله ﷺ حال الفريقين بالقوم الذين استهموا على سفينة فقال:" **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**"[٢].

كما شبه النبي ﷺ حال المعرضين عن اتباع الهدى الإلهي بالفراش المتدافع إلى النار يلقى حتفه فقال: "**مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها**"[٣].

إن استمرارية الإصلاح أمر توجبه القوانين، وتقتضيه طبيعة البشر، فكل الدول تسن القوانين سعياً لإصلاح ما فسد وترميم ما خرب، هذا من جهة، والنفس البشرية مجبولة على حب التخلص من القيود والتفلت من الضوابط، كل هذا يستوجب استمرار الإصلاح، وإلا فسد البشر وأصبحوا أكثر فتكاً من الوحوش[٤].

---

(١) إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة- نصار أسعد نصار ص٤٨٤.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الشركة- باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ج٣ ص١٣٩.

(٣) صحيح البخاري- كتاب الرقاق- باب الانتهاء عن المعاصي ج٨ ص١٠٢.

(٤) إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة- نصار أسعد نصار ص٤٨٤.

وممَّا يُشَرِّفُ الإصلاحَ ويجعله آيةَ الصَّلاح ودليلَ الفلاحِ أنَّ اللهَ تولاَّه بنفسه استحقاقًا وفضلاً، ونسبَه إلى نفسِه الكريمةِ صفةً وفعلاً، وحملَ عليه هذا الإنسانَ حثًّا وترغيبًا ليكون لرسالته أهلاً[1].

٢ - **خصوصية الإصلاح في الإسلام:** لقد أنزل الله الرسل لهداية البشر، وختمها برسالة الإسلام وجعلها ناسخة لكل الشرائع التي سبقتها ونظراً لأنه لا نبي بعد خاتم النبيين ﷺ فمسؤولية الحفاظ على الشريعة وتبليغ الدين انتقلت إلى الأمة[2].

٣ - **الإصلاح يقوم على الالتزام بما أمر به الله:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ** ﴾(سورة الأعراف الآية ١٧٠).

وفي الآية دلالة، وهو الإظهار في موضع الإضمار، حيث قامت لفظة (المصلحين) مقام الضمير، للدلالة على أن المتمسك بالكتاب حقيقة، يكون مصلحاً[3]، وهم الذين يلتزمون أحكامه، ويصدقون بأخباره، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه، كل ذلك وفق سنة رسول ﷺ[4].

وللإصلاح في كتاب الله فِقْهٌ لا بدَّ أن يُفهم ويُسمع، ومَسلكٌ يَجِبُ أن يُقْتَفَى ويُتَّبَعَ وإلاَّ آلَتْ جهودُ المُصلحين إلى الفشل، وعَجزت مساعيهم عن إصلاح العَطَلِ أو تَدَارُكِ الخَلَلِ، وأوَّل ما ينبغي العمل به في أوَّل خطوة من خطوات التَّغيير والإصلاح، تصحيحُ النِّيَّة وتسخيرُ القصدِ لابتغاء مرضاةِ الله وحدَه[5].

إن الأمة إذا أرادات أن تخرج من ظلامها الدامس لا بد من الإصلاح ويبدأ ذلك بإصلاح الفرد المسلم حتى يصلح المجتمع وتنهض الأمة من جديد، فالواجب علينا جميعاً أن نبدأ بإصلاح أنفسنا وأهلنا حتى يضيء لنا فجر جديد وتشرق علينا شمس الحرية ويغدو الحلم حقيقة.

---

(١) الإصلاح في القرآن الكريم- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ عز الدين رمضاني الجزائري. www.azeddin.com.

(٢) إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة- نصار أسعد نصار ص٤٨٤.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل- ابن الجزري ج٢ ص٥٣.

(٤) إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة- نصار أسعد نصار ص٤٨٥.

(٥) الإصلاح في القرآن الكريم- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ عز الدين رمضاني الجزائري. www.azeddin.com.

الفصل الأول

مدخل إلى سورة آل عمران

وفيه مبحثان

المبحث الأول: تعريف بالسورة

المبحث الثاني: المناسبات في السورة

المبحث الأول

تعريــف بالسورة

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تسميتها وعدد آياتها وفضلها

المطلب الثاني: مــحــور الــسـورة

المطلب الثالث: الجو الذي نزلت فيه

المطلب الأول

تسميتها وعدد آياتها وفضلها

أولاً: تسميتها:

سورة آل عمران لها أكثر من اسم فاسمها المشهور هو: (آل عمران) وقد وردت تسميتها بهذا الاسم في عدة أحاديث صحيحة ومن ذلك ما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: "**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران**"(١).

وتسمى أيضاً (الزهراء) فهي وسورة البقرة تسميان بالسورتين (الزهراوين) جاء في الصحيح عن النبي ﷺ قال:" **اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**"(٢)،

وقال النووي سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما(٣)، أو لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة أو لاشتراكهما في اسم الله الأعظم(٤).

وذكر الآلوسي أنها تسمى: الأمان والكنز والمجادلة وسورة الاستغفار ولعله اقتبس ذلك من أوصاف وصفت بها هذه السورة مما ساقه القرطبي في المسألة الثالثة والرابعة من تفسيره أول السورة(٥).

---

(١) صحيح مسلم- كتاب المسافرين- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ج٢ ص١٩٧ ح٢٥٣.

(٢) صحيح مسلم- كتاب المسافرين- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ج٢ ص١٩٧ ح٢٥٢.

ومعنى البطلة: بفتح الباء والطاء: السحرة: تسمية لهم باسم فعلهم؛ لأن ما يأتون به باطل، وإنما لم يقدروا على قراءتها لزيغهم عن الحق وانهماكهم في الباطل.

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم ج٦ ص٩٠.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ج٤ ص٥.

(٥) انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور ج٣ ص١٤٣.

ثانياً: سبب تسميتها:

وسبب تسميتها بسورة آل عمران؛ لأن فيها ذكر قصة آل عمران من بداياتها حيث قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(سورة آل عمران الآية ٣٣)، وجاء فيما بعد ذلك قَالَ تَعَالَى:﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(سورة آل عمران الآية ٣٥).

والجدير بالذكر أنها السورة الوحيدة التى فيها قصة أم مريم، فقصتها ليست موجودة حتى في سورة مريم يضاف إلى ذلك أن اسم (آل عمران) فيه إشارة في الرد على النصارى الذين الّهوا عيسى عليه السلام فهو يشير إلى أصل عيسى عليه السلام البشري وهو من آل عمران [1].

ثالثاً: عدد آياتها:

سورة مدنية وهي مئتا آية في جميع العدد اختلافها سبع آيات (الم) عدها الكوفي ولم يعدها الباقون و (الإنجيل) الأول لم يعدها الشامي وعدها الباقون و(وأنزل الفرقان) لم يعدها الكوفي وعدها الباقون (الإنجيل) الثاني عدها الكوفي ولم يعدها الباقون وكلهم لم يعد (الإنجيل) في المائدة والأعراف والفتح و (ورسولا إلى بني إسرائيل) عدها البصري ولم يعدها الباقون وكلهم لم يعد كان حلا لبني إسرائيل (مما تحبون) الأول لم يعدها الكوفي والبصري وأبو جعفر القاري وعدها الباقون وشيبة بن نصاح[2].

رابعاً: فضلها:

لقد شاركت سورة آل عمران سورة البقرة في كثير من فضائلها كما ورد في حديث أبي أمامةَ الباهليّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ قال:" **اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**"[3].

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن ج١ ص٤٠٣.

(٢) التبيان في عد آي القرآن ص١٤٣.

(٣) سبق تخريجه ص٣٧.

المطلب الثاني

محور السورة

إن المتأمل لسورة آل عمران يجد أن المحور العام لها هو إثبات وحدانية الله تعالى، وإقامة الأدلة عليه عقلاً ونقلاً، والحقيقة أن أكثر سور القرآن تناولت هذا الموضوع، من جانب أو آخر؛ لأن أُسس الخلاف مع أهل الكتاب وغيرهم من الكفار هو ابتداء في هذه الحقيقة، ومقصود هذه السورة الأعظم هو تقرير كون عيسى عليه السلام عبد الله[1].

وقد ركزت السورة على مسألة التوحيد وما يتعلق بذلك من صفات الله، إن سورة آل عمران هي السورة الوحيدة التي فصل فيها بين الأحرف المقطعة، والحديث عن القرآن الكريم، فقد فصل بينهما بالتأكيد على وحدانية الله تعالى وأنه حي قيوم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾(سورة آل عمران الآية ٣:١)، بينما في باقي سور القرآن افتتحت بالحروف المقطعة يأتي الحديث عن القرآن الكريم مباشرة بعد الأحرف المقطعة، ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء[2].

والدلالة على هذه كثيرة جداً، فقد ذكرت شهادة توحيد الله تعالى في هذه السورة صراحة خمس مرات وذلك في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٢)، وقوله تَعَالَىٰ:﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(سورة آل عمران الآية ٦)، وقوله تَعَالَىٰ:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٨)، ولهذا الحشد شهادة التوحيد هو الأكثر تكراراً في القرآن الكريم، كما أن شهادة التوحيد لم تتكرر مرتين في آية واحدة في القرآن الكريم سوى في سورة آل عمران في آية الشهادة[3].

---

(١) قطف الأزهار في كشف الأسرار- السيوطي ج١ ص٥٤٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ج١ ص١٦٠.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن ج١ ص٤١٢، وأية الشهادة هي الآية ١٨ من سورة آل عمران.

كما أن السورة تأتي في إطار صقل عقيدة المجتمع الإسلامي من ران الزيغ وغبش الشبه وتبين السورة بطلان عقيدة النصارى وتعري التناقض الذي تقوم عليه، وتوضح بلا امتراء حقيقة عيسى عليه السلام ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٥٩)، وعلى نفس النسق تؤكد السورة عجز اليهود عن الارتفاع إلى مستوى الوحي بانحرافهم عما جاءتهم به التوراة، وبما واجهوا به هذا القرآن من التكذيب والعناد، فاستحقوا عن جدارة نعت المكذبين، ذلك أن من كذب بأي من هذه الكتب المنزلة من عند الله تعالى فقد كذب بها جميعاً وكان أولى الناس بالعذاب والنكال، ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾(سورة آل عمران الآية ٤:٣)، لقد واجهوا كلام الله تعالى بمقررات عقلية لا تتجاوز حد الإدراك البشري ولا تستعلي على مستوى العجز الإنساني، فتنكبوا سبيل العلم وعارضوا منهج ذوي الرسوخ من العلماء، الذين هم أفقه بعجز العقل البشري عن إدراك الحقائق التي تفوق طاقته وتكبر مستواه؛ لما يتسمون به من سلامة الفطر التي لا تلبث أن تصدق بالحق وتنقاد له وتطمئن إليه[1]، ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٧).

ولقد كشفت السورة عن الصراع المتجذر الذي احتدم منذ مبعث النبي ﷺ بين حملة الحق وحملة الباطل، صراع يقود المسلمون طرفه ذا العقيدة المستقيمة الناصعة، ويقود أهل الكتاب والمشركون طرفه ذا العقائد المنحرفة المغبشة، المبنية على جعل الشركاء والأنداد لله تعالى ونسبة الأبناء والبنات له جلت عظمته، فهؤلاء وإن آمنوا أن الله هو الخالق الرازق إلا أنهم لم يؤمنوا أنه لا إله غيره وأنه لا يقبل من العبودية إلا ما كان خالصا له وحده، اعتقاداً وعملاً وإتباعاً ومنهجاً، وأنه لا تحاكم إلا إلى شرعه ولا طاعة إلا لأمره ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(سورة آل عمران الآية ١٨).

---

(١) انظر: في ظلال القرآن- سيد قطب ج١ ص٣٣٩.

يقول ابن تيمية: (وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ثَلَاثَةَ أُصُولٍ: شَهَادَةَ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّهُ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ وَأَنَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ؛ فَتَضَمَّنَتْ وَحْدَانِيَّتَهُ الْمُنَافِيَةَ لِلشِّرْكِ وَتَضَمَّنَتْ عَدْلَهُ الْمُنَافِيَ لِلظُّلْمِ وَتَضَمَّنَتْ عِزَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ الْمُنَافِيَةَ لِلذُّلِّ وَالسَّفَهِ وَتَضَمَّنَتْ تَنْزِيهَهُ عَنْ الشِّرْكِ وَالظُّلْمِ وَالسَّفَهِ، فَفِيهَا إثْبَاتُ التَّوْحِيدِ وَإِثْبَاتُ الْعَدْلِ وَإِثْبَاتُ الْحِكْمَةِ وَإِثْبَاتُ الْقُدْرَةِ) [1]، لقد كان تجسيد النبي ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم لهذا التصور عملاً وواقعاً وراء تأجج الصراع بعد الهجرة النبوية، خاصة حين صار اليهود طرفه الأكثر عنفاً والأعمق حقداً، والأشد رفضاً لقضاء الله وقدره، والأغور حسداً للعرب في اختصاص الله تعالى لهم بالرسالة الخاتمة، فذلك طبعهم المتعصب وتلك شيمتهم الكارهة للحق رغم محاجة النبي ﷺ لهم بالدليل والبرهان ومقابلته أذاهم بالحسنى[2]، ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٢٠).

المطلب الثالث

الجو الذي نزلت فيه السورة

لقد شهد العام الثاني للهجرة النبوية تحولات جوهرية في تنظيم وتطور الدولة الإسلامية الفتية، فرغم وجود عهود مع أعدائها في الداخل من أهل الكتاب إلا أنهم ظلوا يطعنون في الإسلام ويخاصمون أهله، فلم تتوقف مناكفتهم يوما بحجج الوحي، ولم تهدأ مجادلتهم ببراهين العقل، وإن لم يكف ذلك من غلهم على دولة الإسلام، ولم يخفف من حملاتهم المغرضة عليها، ولكنها إقامة الحجة في إيضاح المحجة قبل اللجوء إلى السيف ولو تعلق الأمر بألد الأعداء وأعتى الخصوم.

في الوقت نفسه كانت الحرب العسكرية مع المشركين- بعد استفراغ كافة الوسائل الدعوية السلمية – قد بلغت ذروتها؛ حيث حمي الوطيس في غزوة بدر، في هذه الظروف نزلت سورة آل عمران لتؤكد منهج الإسلام في إلزام معتنقيه بالثبات على منهجه القرآني النبوي

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى- ابن تيمية ج١٤ ص١٨٠-١٨١.

(٢) انظر: هدايات سورة آل عمران- أحمد ذو النورين، مجلة البيان العدد ١٩٤.

تحصينا للعقول المسلمة من زيغ الشبهات، وتشجيعاً للأنفس المؤمنة ضد إرهاب العدو. فبينت الحق ودحضت الباطل وأزالت غبش مزاعم أهل الشرك من النوعين[1].

فكان سبب نزولها قدوم وفد نجران، وكانوا ستين راكباً على رسول الله ﷺ وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، "فالعاقب" أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه: عبد المسيح، و"السيد" إمامهم وصاحب رحلهم واسمه: الأيهم، "وأبو حارثة بن علقمة" أسقفهم وحبرهم، وإمامهم وصاحب مدارسهم، وكان قد شرف فيه ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده، فقدموا على رسول الله ﷺ ودخلوا مسجده حين صلى العصر، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ "**دعوهم**" فصلوا إلى المشرق، فكلم السيد والعاقب رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ "**أسلما**"، فقالا: قد أسلمنا قبلك، قال: "**كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير**"، قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه؟ وخاصموه جميعاً في عيسى، فقال لهما النبي ﷺ "**ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟**" قالوا: بلى، قال: "**ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى أتى عليه الفناء؟**" قالوا: بلى، قال: "**ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟**" قالوا: بلى، قال: "**فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟**" قالوا: لا، قال: "**فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث**" قالوا: بلى، قال: "**ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟**" قالوا: بلى، قال: "**فكيف يكون هذا كما زعمتم؟**" فسكتوا، فأنزل الله ﷻ فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضعة وثمانية آية منها[2].

---

(١) انظر: هدايات سورة آل عمران- أحمد ذو النورين مجلة البيان العدد ١٩٤.

(٢) أسباب النزول- الواحدي ص٩٧-٩٨.

المبحث الثاني

المناسبات في السورة

وفيه مطلبان

المطلب الأول: مناسبة سورة آل عمران لما قبلها

المطلب الثاني: مناسبة سورة آل عمران لما بعدها

المطلب الأول

مناسبة سورة آل عمران لما قبلها (سورة البقرة)

إن الاتصال بين هذه السورة وما قبلها يقع في وجوه منها:

أن كلاً منهما بدئ بذكر الكتاب وشأن الناس في الاهتداء، ففي سورة البقرة ذكر أصناف الناس، من يؤمن به ومن لا يؤمن والمناسب في ذلك التقديم؛ لأنه كلام في أصل الدعوة، وفي الثانية (آل عمران) ذكر الزائغين الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، والراسخون في العلم الذين يؤمنون بمحكمه ومتشابهه، ويقولون: كل من عند ربنا، والمناسب فيه التأخير؛ لأنه فيما وقع بعد انتشار الدعوة[1].

قال أبو حيان لما ذكر في آخر سورة البقرة: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٨٦)، ناسب أن يذكر نصرة الله تعالى على الكافرين حيث ناظرهم رسول الله ﷺ، ورد عليهم بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة، فقص تعالى أحوالهم ورد عليهم في اعتقادهم، وذكر تنزيهه تعالى عما يقولون وبداءة خلق مريم وابنها المسيح عليهما السلام، إلى آخر ما رد عليهم ولما كان أخر آية البقرة ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٨٥)، فكأن في ذلك الإيمان بالله ﷻ وبالكتب، ناسب أوصاف الله تعالى وذكر ما أنزل على رسوله ﷺ وذكر المنزل على غيره صلى الله وسلم عليهم جميعاً[2]، وكلٌ منهما قد حاج أهل الكتاب، ولكن الأولى أفاضت في محاجة اليهود واختصرت في محاجة النصارى، والثانية بالعكس، والنصارى متأخرون عن اليهود في الوجود وفي الخطاب بالدعوة إلى الإسلام، فناسب أن تكون الإفاضة في محاجتهم في سورة آل عمران[3].

---

(١) انظر: تفسير المنار ج٣ ص١٢٧، تفسير المراغى ج٣ ص٩١-٩٠.

(٢) انظر: البحر المحيط ج٢ ص٣٨٩.

(٣) انظر: تفسير المنار ج٣ ص١٢٧، تفسير المراغى ج٣ ص٩١-٩٠.

والدعاء في آخر كل منهما، فالدعاء في الأولى يناسب بدء الدين؛ لأن معظمه فيما يتعلق بالتكليف وطلب النصر على جاحدي الدعوة ومحاربي أهلها، وفي الثانية يناسب ما بعد ذلك؛ لأنه يتضمن الكلام في قبول الدعوة وطلب الجزاء عليه في الآخرة[1].

ولما كانت هذه السورة قرينة سورة البقرة، وكانت كالمكملة لها، افتتحت بتقرير ما افتتحت به تلك، وصرح في منطوق مطلعها بما طوي في مفهوم تلك، فتجد كذلك أن أول سورة البقرة افتتح بوصف الكتاب لا ريب فيه، وقال ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٣)، وذلك بسط وإطناب لنفي الريب عنه وكذلك أنه ذكر في البقرة إنزال الكتاب مجملاً، وقسمه هنا إلى آيات محكمات، ومتشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله[2].

المطلب الثاني

مناسبة سورة آل عمران لما بعدها (سورة النساء)

الناظر في المناسبة بين سورة آل عمران وسورة النساء يجد أن الأولى اختتمت بالأمر بالتقوى، والأخرى بدأت بالأمر بالتقوى، ومنها أن في آل عمران ذكر قصة أحد مستوفاة كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٧٢:١٧٣:١٧٤:١٧٥).

وأشير إليها في سورة النساء بقوله سبحانه وتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (سورة النساء الآية ١٠٤).

---

(١) انظر: تفسير المنار ج٣ ص١٢٧، تفسير المراغي ج٣ ص٩١-٩٠.

(٢) أسرار ترتيب القرآن- السيوطي ص٨٣-٨٤.

وبهذين الوجهين يعرف أن تأخير النساء عن آل عمران أنسب من تقديمها عليها كما في مصحف ابن مسعود؛ لأن المذكور هنا ذيل لما ذكر هناك وتابع فكان الأنسب فيه التأخير ومن أمعن نظره وجد كثيراً مما ذكر في سورة النساء مفصلاً لما ذكر فيما قبلها فحينئذ يظهر مزيد الارتباط وغاية الإحتباك[1].

كما أن اختتام سورة آل عمران بالتقوى في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(سورة آل عمران الآية ٢٠٠)، وهو خطاب للمؤمنين فتناسب أن يوجه الخطاب في مفتتح سورة النساء للجميع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (سورة النساء الآية ١)، وزيد وصف ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء الآية ١)، ليتناسب مع قوله تعالى في آخر سورة آل عمران قوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٩٥)، فكأنه يقول أثبتكم على أعمالكم الصالحة جميعاً ذكوراً وإناثاً؛ لأنكم جميعاً مأمورون بالتقوى وترجعون في أصل نشأتكم إلى أدم وحواء[2].

وكما أنه ذكر في سورة آل عمران قصة خلق عيسى عليه السلام بلا أب، وأقيمت له الحجة بآدم عليه السلام، وفي ذلك تبرئة لأمه خلافاً لما زعم اليهود، وتقرير عبوديته، وخلافاً لما ادعته النصارى، فجاء الرد على الفريقين في سورة النساء معاً: فرد على اليهود بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء الآية ١٥٦).

والرد على النصارى بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن

---

(١) روح المعاني- الآلوسي ح٤ ص١٧٩، أسرار ترتيب القرآن- السيوطي ٩٠-٩١.

(٢) جواهر البيان- عبد الرحيم إبراهيم ص٢٨- ٢٩.

يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴾ (سورة النساء الآية ١٧١-١٧٢).

بذلك يتضح لنا أن سورة البقرة وآل عمران والنساء سلسلة متتابعة من الآيات المحكمات البينات، التي تخاطب الناس بما فيه صلاحهم وفلاحهم، وتعلمهم أنهم إذا اتبعوا هذا الهدي القرآني العظيم وساروا عليه فإنهم سيحوزون الفوز في الدارين الدنيا والآخرة.

منهجيات التغيير والإصلاح في ضوء سورة آل عمران

الفصل الثاني
المنهجيات العقائدية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: حقيقة التوحيد

المبحث الثاني: الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل

المبحث الثالث: التوكل على الله

المبحث الأول

حقيقة التوحيد

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: حقيقة التوحيد
المطلب الثاني: أهمية التوحيد
المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في التوحيد

المطلب الأول

حقيقة التوحيد

التوحيد لغة: أصل التوحيد من وحد، يوحد توحيداً على وزن تفعيل، ومعناه نسبة الشيء إلى الوحدانية، ومعنى آخر: الحكم والعلم بأن الشيء واحد. ومن هذا يتبين أن معاني التوحيد يدور حول الوحدة والإنفراد والتفرد(١).

التوحيد شرعاً: "هو إفراد المعبود بحق بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعالاً"(٢) والمعبود هو الله جل جلاله وحده.

إن توحيد الألوهية وتوحيد القوامة، وهذه الحقيقة التي تستهدف إقرار حقيقة العقيدة الإسلامية وجلاء الشبهات التي يلقيها أهل الكتاب من جهة جلائها عن أهل الكتاب أنفسهم، وجلائها عن المسلمين الذين قد تؤثر هذه الشبهات في عقيدتهم(٣).

وحقيقة التوحيد لها أعداء كثيرون في الأرض، يحاربونها لكي لا تستقر بكل وسائل الحرب الحسية والمعنوية والمادية والروحية يحاربونها بالمال والسلاح، ويحاربونها بمحاولة زلزلة المؤمنين بها وزحزحتهم عن عقيدتهم، فهم لا يتركون وسيلة من وسائل الحرب إلا اتبعوها لأنهم يكرهونها، ولأنهم يحسدون أهلها عليها في ذات الوقت، لأنها تسعى إلي استرداد السلطة المغتصبة من أيديهم وردها إلى صاحبها الحقيقي وهو الله سبحانه تعالى(٤).

وتوحيد الله ﷻ هو أساس الإيمان الصحيح به سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ (سورة محمد الآية ١٩)، وكذلك شهد ﷻ بنفسه على هذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته، وأنبياءه، ورسله(٥).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ** ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٨).

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ج٦ ص٩٠، مختار الصحاح ص٧١١.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية- محمد السفاريني ج١ ص٥٧.

(٣) انظر: في ظلال القرآن- سيد قطب ج١ ص ٣٧٨.

(٤) انظر: دراسات إسلامية – محمد قطب ص ٣١٠.

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية- الطحاوي ص٩٠.

ولا يفوتني هنا في سياق الحديث عن حقيقة التوحيد أن أُذكر بما قاله علماء التوحيد، عن أنواعه باختصار؛ وهي: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات[١].

أما توحيد الربوبية: فيعني: أن نوحد الله ﷻ في أفعاله[٢]، وهو الإقرار بأن الله ﷻ رب كل شيء ومالكه، وخالقه، ورازقه، وأنه المحيي، والمميت، النافع، الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الإضرار الذي له الأمر كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك[٣].

ولاشك أن الإقرار بالربوبية أمر فطري[٤]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (سورة يونس الآية ٣١:٣٢).

إن المؤمن يعلم أن الله سبحانه وتعالى بيده كل شيء، فهو مقدر الأقدار ومفرق الجماعات ورب كل شيء ومليكه فحق للعبد المؤمن أن يفرده وحده بالعبادة.

وأما توحيد الألوهية: فيعني أن نوحد الله ﷻ في أفعالنا[٥]، وهو إفراد الله ﷻ لجميع أنواع العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى[٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنعام الآية١٦٢).

وأصل الألوهية وجوهرها؛ هو السلطة سواء أكان يعتقدها الناس من حيث أن حكمها على هذا العالم حكم مهيمن على قوانين الطبيعة، أم من حيث إن الإنسان في حياته الدنيا مطيع لأمرها وتابع لإرشادها، وأن أمرها في حد ذاته واجب الطاعة والإذعان[٧].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية- الطحاوي ص٧٨-٧٩، الإيمان- محمد نعيم ياسين ص٦-١٠-١٣.

(٢) انظر: أسس التصور الإسلامي- محمد أبو فارس ص٤٥.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية- الطحاوي ص٤٩.

(٤) انظر: المرجع السابق ص٢٤٥.

(٥) انظر: أسس التصور الإسلامي- محمد أبو فارس ص٤٥.

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٧٨.

(٧) انظر: المصطلحات الأربعة للقرآن الكريم- المودودي ص٢٤.

إن محور الأمة كله هو عقيدة التوحيد، توحيد الألوهية بتوحيد تصورها والتوجه إليها والتلقي منها، فليس من إله يستحق الألوهية إلا البارئ ﷻ، وليس من معبود حق يستحق العبادة إلا خالق العباد " الله لا إله إلا هو" لذلك وردت هذه الآية منتثرة حسب سياقها أربع مرات في سورة آل عمران قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٨).

بهذه الحقيقة الناصعة يتميز الحق عن الباطل، والهدى عن الضلال، والرشاد عن الغي، في قلب المرء وعقله ووجدانه وشعوره، ليقيم نظام حياته على حقيقة وجوده ومبدأ ومنتهى حقيقة عبوديته المطلقة لربه تعالى، وحقيقة وحدانية الألوهية والربوبية والقوامة [1].

أما توحيد الله ﷻ في الصفات: يعني: الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ يتصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد عن جميع الكائنات؛ وذلك بإثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في كتاب الله والسنة من غير تحريف ألفاظها، أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو بنفي بعضها عن الله ﷻ، ولا تكييفها بتحديد كنهها، وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين[2].

---

(١) تفسير القرآن الكريم – الحمداوي ج٢ ص ٢٠-٢١ .

(٢) الإيمان- محمد نعيم ياسين ص١٥.

المطلب الثاني

أهمية التوحيد

إن إثبات حقيقة التوحيد هي الأساس الذي يقوم عليه بنيان الأمم، فصلاح كل أمة من الأمم مربوط بسلامة ما تحمله من التوحيد الخالص لله رب العالمين.

والتوحيد الخالص الناصع هو مفرق الطريق بين عقيدة المسلم وسائر العقائد، سواء منها عقائد الملحدين والمشركين، وعقائد أهل الكتاب المنحرفين (يهوداً أو نصارى) على اختلاف مللهم ونحلهم جميعاً، كما أنه هو مفرق الطريق بين حياة المسلم وحياة سائر أهل العقائد في الأرض، فالعقيدة هنا تحدد منهج الحياة ونظامها تحديداً كاملاً دقيقاً[1].

والقلب الذي استقرت فيه حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية لا يمكن أن يهدأ أو يستقر كما تستقر القلوب الخاوية إلا أن يرى هذه الحقيقة الربانية قد استقرت وتمكنت في الأرض[2].

إن الكون المنظور والكتاب المسطور كلاهما يخبر عن وحدانية الله تعالى ودعوته إلى توحيد عبادته، لذلك دعا رب العزة من لم يبلغه الكتاب المسطور إلى تدبر الكون المنظور وما فيه من آيات بينات رآها إبراهيم عليه السلام فاهتدى ويراها من سبقت له في علم الله الحسنى فيهتدي.

وإن مَن تدبر نصوص القرآن والسُّنَّة يعلم أهمية التوحيد الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، ولا يستطيع أحدٌ أن يحصر أهمية التوحيد، غير أني أذكر طَرَفًا منها؛ لتكون بمثابة المنارات التى يهتدي بها السالك لأنفع المسالك، وهي:

١. التوحيد شرط في الأمن والاهتداء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية١٥١).

بشَّرهم بأنه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلَّة لهم؛ بسبب كفرهم وشركهم، مع ما ادَّخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنكال... [3]، وقد ثبت في الصحيحين عن جابر ابن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال: "**أُعطِيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي: نُصِرْتُ**

---

(١) انظر: في ظلال القرآن- سيد قطب ج١ ص٣٦٥.

(٢) انظر: دراسات إسلامية- محمد قطب ص٣٠٩.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير ج٢ ص١٣٢.

بالرُّعب مسيرة شهر، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدًا وطَهُورًا، وأُحِلَّت لي الغنائم، وأُعْطِيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصَّة وبعثت إلى الناس عامة"[1].

"**بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ** "يعني: بشركهم بالله وعبادتهم الأصنام، وطاعتهم الشيطان التي لم أجعل لهم بها حجة التي أخبر ﷺ أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم، وهذا وعدٌ من الله ﷻ لأصحابَ رسول الله ﷺ بالنصر على أعدائهم... ما استقاموا على عهده، وتمسكوا بطاعته"[2].

"**بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ**"؛ أي: ذلك بسبب ما اتَّخذوا من دونه من الأنداد والأصنام التي اتَّخذوها على حسب أهوائهم وإراداتهم الفاسدة من غير حُجَّة ولا برهان، وانقطعوا من ولاية الواحد الرحمن، فمن ثمَّ كان المشرك مرعوبًا من المؤمنين، لا يعتمد على ركن وثيق، وليس له ملجأ عند كل شدَّة وضيق، هذا حاله في الدنيا، وأمَّا في الآخرة فأشدُّ وأعظم؛ ولهذا قال: "**وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ**"؛ أي: مستقرُّهم الذي يأوون إليه، وليس لهم عنها خروج؛ "**وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ** " بسبب ظلمهم وعدوانهم صارت النار مثواهم"[3].

٢. التوحيد هو الكلمة السواء التى بيننا وبين أهل الكتاب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ** ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٤).

هذه الآية الكريمة كان النبي ﷺ يكتب بها إلى ملوك أهل الكتاب، وكان يقرأ بها في الرَّكعة الآخرة من سنَّة الصبح؛ لاشتمالها على الدعوة إلى دين واحد قد اتَّفق عليه الأنبياء والمرسلون، واحتوت على توحيد الإلهية المبنيِّ على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يعتقد أن البشر وجميع الخلق كلهم في طور البشرية لا يستحقُّ منهم أحدٌ شيئًا من خصائص الرُّبوبية ولا من نعوت الإلهية، فإن انقاد أهل الكتاب وغيرهم إلى هذا فقد اهتدوا[4].

---

(١) صحيح البخاري- كتاب الصلاة- باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ج١ ص٩٥ ح٤٣٨.

(٢) جامع البيان- الطبري ج٧ ص٢٧٩.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- السعدي ج١ ص١٥١.

(٤) انظر: المرجع السابق ج١ ص٩٦٨.

"ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " أي: متَّصفون بدين الإسلام منقادون لأحكامه، معترفون بما لله علينا في ذلك من المنن والإنعام، غير متَّخذين أحدًا ربًّا؛ لا عيسى، ولا عزيراً؛ لأنهم بشر مثلنا، مُحْدَث كحدوثنا، ولا نقبل من الرهبان شيئًا بتحريمهم علينا ما لم يحرِّمْه الله علينا، فنكون قد اتخذناهم أربابًا(١).

٣. التوحيد شرطٌ في الشفاعة:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾(سورة طه الآية ١٠٩)، والله لا يرتضي إلاَّ التوحيد؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(سورة آل عمران الآية ٨٥).

"فأَخْبَرَ سبحانه وتعالى أن الشَّفاعة كلَّها له، وأنه لا يشفع عنده أحدٌ إلاَّ مَن أَذِن الله ﷻ أن يشفع له فيه، ورَضِي قولَه وعمله، وهم أَهْلُ التَّوحيد الذين لم يتَّخِذُوا من دون الله شُفَعاء، فإنَّه سبحانه وتعالى يَأذَن في الشفاعة فيهم لِمَن يشاء، حيث لم يتَّخذوهم شُفَعاء مِن دونه، فيكون أَسعد النَّاس بشَفاعته مَن يَأذَن الله ﷻ لَه صاحب التَّوحيد الذي لم يتَّخذ شَفِيعًا مِن دونِ الله، والشَّفاعةُ التى أَثْبتَهَا اللَّهُ ﷻ ورسولُه ﷺ هي الشَّفاعة الصَّادرة عن إذنه لمن وحده"(٢).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ج٤ ص١٠٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد- سليمان عبد الوهاب ص٢٨٧-٢٨٦.

المطلب الثالث

منهجية التغيير والإصلاح في التوحيد

إن الإنسان هو الأساس في التغيير ومشيد الإصلاح، والقرآن الكريم موجه ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (سورة الرعد الآية ١١)، فمهمة التغيير الأولى قائمة على تغيير القوم ما بأنفسهم ومن ثم يكون التغيير الذي يتبعه من قبل الله ﷻ، والقرآن الكريم أمد الإنسان وأعده لهذا الدور الجلل والمهمة الخطيرة وهيأه لوظيفة كبرى؛ في حمل أمانة الإصلاح ورفع راية التغيير لجلب السعادة البشرية ونشر أشرعة التوحيد على سارية العقيدة الصحيحة.

والإنسان جوهرة المخلوقات، وأسمي أجناسها مدحه الحق ﷻ وأبان فضله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (سورة التين الآية ٤:٥:٦).

إن هذا الإنسان خليفة الله ﷻ في أرضه، أو المؤتمن في تسيير دفة الحياة في الدنيا في إطار التغيير والإصلاح، فذللت له الصعاب، فكان المخلوق المدلل، إذا ما جعل منهاج حياته في ضوء مبادئ القرآن العظيم سعد وأسعد، وإن أعرض عنها ونكص على عقبيه فإنه يشقى.

وقد تميز أسلوب القرآن الكريم بالمنهج الفريد في بناء الشخصية الإنسانية القادرة على حمل أمانة التغيير والإصلاح، ولقد شاهدنا في السنوات الأخيرة من القرن الواحد والعشرين وثورة الربيع العربي الإسلامي، وما تمخض عنه من تقدم الإسلاميين إلي سدة الحكم سواء في تونس ومصر وليبيا... بعد أن رفعوا القرآن الكريم منهاجاً وجعلوا شعارهم (الإسلام هو الحل)، وما كان هذا ليحصل لولا صدق العقيدة وصحة التوحيد الذي امتلك قلوبهم ونظم حياتهم.

وها نحن نرى على مدار التاريخ أن الفترات التي حكم فيها كتاب الله ﷻ وحدها هي التي ذاق فيها الناس طعم القسط، واستقامت حياتهم استقامة، وعندما حكم غير القرآن انتشر الظلم والفساد والتشريد.

والإسلام ليس مجرد دعوى، وليس مجرد راية، وليس مجرد كلمة تقال باللسان إنما الإسلام الاستسلام، والإسلام تحكيم كتاب الله ﷻ في أمور العباد [١].

إن حديث القرآن الكريم عن حقيقة التوحيد وحقيقة الإيمان بالله ﷻ، في بناء الحضارات وإنشاء صروحها وإحداث التغيير يبدأ أولاً في النفس البشرية، لقوله تعالى:﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴾ (سورة الرعد الآية ١١).

وصانع التصورات الصحيحة والتصور الاعتقادي تصور يستقر في القلب، ويرتضيه العقل، ويتفاعل مع المشاعر، وينعكس على التصرفات في واقع الحياة [٢].

والإيمان بالله ﷻ معناه الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه الذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة[٣].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأعراف الآية ٥٤)، وهو صاحب الخلق والأمر فلا خالق معه، فكذلك لا آمر معه[٤].

وحيث إن الله ﷻ هو خالقنا، وممدنا باستمرار الوجود، ورازقنا بعطائه المحمود والمنعم بجلائل النعم ودقائقها[٥].

وتأتي الآيات في سورة آل عمران لتضع منهجية التغيير والإصلاح، فهي توجه الإنسان للتدبر في هذا الكون، وهذا التدبر يقود الإنسان إلى معرفة الله في كل الأحوال، وبذلك يلتزم بهذا المنهج المتميز.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن- سيد قطب ج١ ص ٣٧٩- ٣٨٠ .

(٢) انظر: العقيدة وأثرها في بناء الجيل- عبد الله عزام ص ٢٧.

(٣) انظر: الإيمان- محمد نعيم ياسين ص٦.

(٤) انظر: في ظلال القرآن- سيد قطب ج٣ ص ٢٢٩.

(٥) انظر: العقيدة الإسلامية وأساسها- عبد الرحمن الميداني ص٢٥٤.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٩٠:١٩١).

كما دعا من بلغه الكتاب المسطور إلى تدبره ومدارسته واستكشاف مراميه ومقاصده[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء الآية ٨٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (سورة محمد الآية٢٤).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (سورة ص الآية ٢٩).

إن الذي يمتلئ شعوره بوجود الله الواحد، لا بد له أن يختلف منهج حياته ونظامها من الأساس عند الذي تهيم في حسه تلك التصورات التائهة المهوشة، فلا يجد في ضميره أثراً لحقيقة الألوهية الفاعلة المتصرفة في حياته [٢].

إن من ذاق حلاوة التوحيد لا تصفو حياته إلا به فهو يعلم علم اليقين أهمية التوحيد بكل أنواعه، بل كيف يلتجئ إلى غير الله ﷻ والخير كله في يد الله، فتوحيد الله ﷻ قوت القلوب وقرة العيون وسرور النفوس وروح الحياة وحياة الروح.

إن توحيد الله عز وجل له الأثر الكبير في تحريك عجلة التغيير ووضع الإنسان وتوجيهه إلى المسار الصحيح، حيث أنه يصلح نفسية الإنسان فيتعرف إلى خالقه ويدرك سبب خلقه، ويعرف إلى أين مآله ومستقره، إن عمل خيراً يثاب عليه وإن أساء فعقابه معلوم.

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم- عبد الكريم الحمداوي ج٢ ص ١٨-١٩ .

(٢) انظر: في ظلال القرآن- سيد قطب ج١ ص ٣٦٧ .

المبحث الثاني

الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الإسلام أصل الرسالات

المطلب الثاني: اختيار الأنبياء واصطفاؤهم عليه السلام

المطلب الثالث: محاجة أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام

المطلب الأول

الإسلام أصل الرسالات

إن الإسلام هو دين جميع الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ ... وكل نبي دعا إلى الإسلام، بمعنى إسلام الوجه لله ﷻ ... (١).

والدين الصحيح وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير باطناً وظاهراً، ولذلك لقب أتباع هذا الدين بالمسلمين والمؤمنين، وهو تسمية بمصدر أسلم إذا أذعن ولم يعاند إذعاناً عن اعتراف بحق، لا عن عجز، وهذا اللقب أولى بالإطلاق على هذا الدين من لقب الإيمان؛ لأن الإسلام هو المظهر البين لمتابعة الرسول ﷺ فيما جاء به من الحق، وأطرح كل حائل يحول دون ذلك، بخلاف الإيمان فإنه اعتقاد قلبي، ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة الحج الآية ٧٨)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ (سورة آل عمران الآية٢٠)، ولأن الإسلام لا يكون إلا عن اعتقاد؛ لأن الفعل أثر الإدراك، بخلاف العكس فقد يكون الاعتقاد مع المكابرة(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٩).

إن الإسلام له منهج واحد لا يقبل الميوعة والمداهنة، والمساومة، والإسلام هو التطبيق الفعلي للكتاب والسنة والتحاكم إليهما واتباعهما، وبرضا النفس واطمئنان القلب، الإسلام ليس مادة هلامية قابلة لتلاعب الأهواء والرغبات، ولكنه دين حدده رب الكون واجب الطاعة(٣).

فأظهر الله ﷻ دين الإسلام في وقت مناسب لظهوره، واختار أن يكون ظهوره بين ظهراني أمة لم تسبق لها سابقة سلطان، ولا كانت ذات سيادة يومئذ على شيء من جهات الأرض، ولكنها أمة سلمها الله ﷻ من معظم رعونات الجماعات البشرية، لتكون أقرب إلى قبول الحق، وأظهر هذا الدين بواسطة رجل منها، لم يكن من أهل العلم، ولا من أهل الدولة، ولا من

---

(١) انظر: دراسات إسلامية- محمد قطب ص٣١٨.

(٢) انظر: التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور ج٣ ص١٨٩.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم- الحمداوي ج٢ ص٧٩.

ذرية ملوك، ولا اكتسب خبرة سابقة بهجرة أو مخالطة، ليكون ظهوره هـذا تحـت الصـريح، والعلم الصحيح، من مثله آية على أن ذلك وحي من الله ﷻ نفح به عباده.

ثم جعل أسس هذا الدين متباعدة عن ذميم العوائد في الأمم، حتى الأمة التي ظهر بينها، وموافقة للحق ولو كان قد سبق إليه أعداؤها، وكانت أصوله مبنية على الفطرة بمعنى ألا تكون ناظرة إلا ما فيه الصلاح في حكم العقل السليم، غير مأسور للعوائـد ولا للمـذاهب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الروم الآية ٣٠)[1].

وأصل الفطرة أن الإسلام يعد ديناً صالحاً لجميع الأمم في جميع العصور والأزمان.

منهجية التغيير والإصلاح في أصل الرسالات:

إن إصلاح العقيدة في النفوس يكون بحمل الذهن على اعتقاد لا يشوبه تردد ولا تمويـه ولا أوهام ولا خرافات، ثم تكون عقيدته مبنية على الخضوع لواحد عظيم، وعلـى الاعتـراف باتصاف هذا الواحد بصفات الكمال التامة التي تجعل الخضوع إليه اختيارياً، ثم لتصـير تلـك الكمالات مطمح أنظار المعتقد في التخلق بها ثم يحمل جميع الناس على تطهير عقائدهم حتـى يتحد مبدأ التخلق فـيهم[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٤).

بعد أن فسد اتباع اليهودية والنصرانية نزل القرآن الكريم يوجه هؤلاء ويصـلح مـا أفسدوه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٩)، وكذلك نزل القرآن ليصلح ما كان عليه كفار قريش من عبـادات فاسدة، وتغيير عقائدهم المنحرفة.

---

(١) التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور ج٣ ص١٩٣.

(٢) المرجع السابق.

والقرآن الكريم منهج حياة فقد نزل ليغير ويصلح الواقع الذي تحياه الأمة وهذا دليل واضح على أهمية هذا المنهج في حياة الناس وخاصة أصحاب المبادئ الهدامة كالشيوعية والاشتراكية والقومية والعلمانية، فقد دعاهم إلى كلمة سواء وأمرهم بعبادة الله وحده لكن هؤلاء أصروا على كفرهم وعنادهم واستكبارهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية٩٥:٩٦:٩٧).

وكان إصلاح الاعتقاد أهم ما ابتدأ به الإسلام، وأكثر ما تعرض له وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح ولأنه لا يرجى لقوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة، وخسئت نفوسهم بآثار تلك العقائد المثيرة: خوفاً من لا شيء وطمعاً في غير شيء، وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي لأن المرء إنسان بروحه لا بجسمه.

وجمعه بين إصلاح النفوس، بالتزكية، وبين إصلاح نظام الحياة، بالتشريع، في حين كان معظم الأديان لا يتطرق إلى نظام الحياة بشيء، وبعضها وإن تطرق إليه إلا أنه لم يوفه حقه، بل كان معظمهم اهتمامها منصرفاً إلى المواعظ والعبادات، وقد قرن القرآن المصلحتين في غير آية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل الآية ٩٧).

واختصاصه بإقامة الحجة، ومجادلة المخاطبين بصنوف المجادلات، وتعليل أحكامه بالترغيب والترهيب، وذلك رعي لمراتب نفوس المخاطبين، فمنهم العالم الحكيم الذي لا يقتنع إلا بالحجة والدليل، ومنهم المكابر الذي لا يرعوي إلا بالجدل والخطابة، ومنهم المترهب الذي اعتاد الرغبة فيما عند الله، ومنهم المكابر المعاند، الذي لا يقلعه إلا القوارع والزواجر[1].

(١) التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور ج٣ ص١٩٤.

وأنه جاء بعموم الدعوة لسائر البشر، وهذا شيء لم يسبق في دين قبله قط وفي القرآن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٥٨).

وفي الحديث الصحيح: **أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**[١].

والإقلال من التفريع في الأحكام بل تأتي بأصولها ويترك التفريع لاستنباط المجتهدين، وقد بين ذلك أبو إسحاق الشاطبي في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (سورة الأنعام الآية ٣٨)، لتكون الأحكام صالحة لكل زمان.

إن المقصود من وصايا الأديان إمكان العمل بها، وفي أصول الأخلاق أن التربية الصحيحة هي التي تأتي إلى النفوس بالحيلولة بينها وبين خواطر الشرور؛ لأن الشرور إذا تسربت إلى النفوس، تعذر أو عسر اقتلاعها منها، وكانت الشرائع تحمل الناس على متابعة وصاياها بالمباشرة، فجاء الإسلام يحمل الناس على الخير بطريقتين: طريقة مباشرة، وطريقة سد الذرائع الموصلة إلى الفساد، وغالب أحكام الإسلام من هذا القبيل وأنها من جملة ما أريد بالمشتبهات في حديث: "**إنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبَهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ**"[٢].

وامتزاج الشريعة بالسلطان في الإسلام، وذلك من خصائصه إذ لا معنى للتشريع إلا تأسيس قانون للأمة، وما قيمة قانون لا تحميه القوة والحكومة، وبامتزاج الحكومة مع الشريعة أمكن تعميم الشريعة، واتحاد الأمة في العمل والنظام [٣]، ولقد كان ومازال منهج الإسلام هو المنهج الرباني الخالد لمن أراد أن يصلح أمر نفسه وأهله وأمته، ويؤكد ذلك أن جميع الرسالات اجتمع على الإسلام في بنيانه وإصلاح النفوس وعقول الأمم إذا تمسكوا به وأطاعوا أوامره.

---

(١) سبق تخريجه ص٥٤.

(٢) صحيح البخاري- كتاب العلم- باب فضل من استبرأ لدينه ج١ ص٢٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور ج٣ ص١٩٥-١٩٦.

المطلب الثاني

اختيار الأنبياء عليهم السلام واصطفاؤهم

إن الله تعالى اصطفى بيوت الأنبياء على سائر أهل الأرض فاصطفى آدم عليه السلام: خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه الجنة، ثم أهبطه منها لما له في ذلك من الحكمة، واصطفى نوحاً عليه السلام، وأرسله إلى قومه لمَّا عبدوا الأوثان، وأشركوا بالله، وانتقم له لمّا طالت مدته بين ظهراني قومه يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، فلم يزدهم ذلك إلا فراراً، فدعا عليهم، فأغرقهم الله عن آخرهم، ولم ينج منهم إلا من اتبعه على دينه الذي بعث الله ليدعو إليه، واصطفى آل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق وذريتهما، ومنهم سيد البشر خاتم الأنبياء على الإطلاق محمد ﷺ، واصطفى آل عمران، والمراد بعمران هنا والد مريم بنت عمران أم عيسى، اصطفاهم على الناس أجمعين(١).

هؤلاء الذين اصطفاهم الله من عباده واختارهم لحمل الرسالة الواحدة بالدين الواحد منذ بدء الخليقة، ليكونوا طلائع الموكب الإيماني في شتى مراحله المتصلة على مدار الأجيال والقرون، فيقرر أنهم ذرية بعضها من بعض، وليس من الضروري أن تكون ذرية النسب – وإن كان نسب الجميع يلتقي في آدم ونوح – فهي أولاً رابطة الاصطفاء والاختيار الإلهي؛ ونسب هذه العقيدة الموصول في ذلك الموكب الإيماني الكريم(٢)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٣٣).

والاصطفاء معناه الاختيار والانتقاء وطلب الصفوة من كل شيء، واصطفاء الله تعالى عبداً من عباده معناه اجتباؤه وتخصيصه بكرامته، وتفضيله لحمل أمانته(٣).

إن الاصطفاء وان كان لآدم وحده بأن أسجد له الملائكة وجعله خليفة في الأرض وعلمه الأسماء كلها، ولنوح فجعله الأب الثاني للبشرية بعد الطوفان، فإن الاصطفاء الأوفى كان لإبراهيم إذ جعل الأنبياء والرسل بعده من ذريته، على قاعدة ميثاقه مع ربه إذ سأله الإمامة

---

(١) انظر: الأساس في التفسير– سعيد حوى ج٢ ص ٧٦٠.

(٢) انظر: في ظلال القرآن– سيد قطب ج١ص٣٩١.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم– الحمداوي ج٢ ص١٣٣.

لعقبه، فمنعها الظالمون منهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٢٤).

وهي قاعدة مطردة في منهج الله تعالى، تنتفي بها وشائج النسب والدم إذا تعارضت مع العقيدة، ومن ثم اتبع تعالى خبر اصطفائه آل إبراهيم، بالتركيز على فرع من شجرته، هم آل عمران وامرأة عمران وابنته مريم وحفيده عيسى ثم زكريا ويحيي عليهم السلام، هم الذين اصطفاهم الله وعلم أزلا أنهم سيكونون طائعين، إنهم طائعون بالنفس العامة ويكونون في مزيد من الطاعة بعد أن يأخذوا التكليف بالنفس خاصة، إنهم طائعون من قبل أن يأخذوا أمور التكليف، ولو تركهم الحق للأمور العقلية لاهتدوا إلى طاعته وعندما جاءهم الأمر التكليفي ويصطفيهم الله يكونوا رسلاً وحملة منهج سماوي(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٣٣:٣٦).

لقد نذرت امرأة عمران مطلق ما في بطنها ذكراً كان أو أنثى، وإن كانت أمنيتها أن تضع ذكراً فتفرغه على خدمة المعبد على عادة قومها في تخصيص ذلك بالذكور من أبنائهم، إلا أنها عندما وضعت ما في بطنها أنثى، والأنثى في العرف العام أضعف على الخدمة من الذكر، لما يعتريها من أصول تكوينية تمنعها أحياناً من دخول المعبد والقيام ببعض العبادات المفروضة، فتوجهت إلى ربها بأسى وحسرة وحياء، كأنها تعتذر إليه من أنوثتها قائلة: (قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ)، وهي لا تقصد هذا إخباراً بمولودها؛ لأن الله تعالى يعلم ما خلق؛ ولكنها تقصد إظهار الحزن لما يتحقق من أملها في أن تلد ذكراً أقدر من الأنثى على الخدمة، ثم تابعت أم مريم مناجاتها لربها فقالت: (وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ)، ولقد جمع دعاء أم مريم من صفاء القلب وصدق التوجه والاستغراق في الإقبال على الله والثقة به ما كان له من الله الرضا

(١) انظر: تفسير الشعراوي ج٣ ص١٤٢٧.

وحسن القبول، لذلك تقبل مريم ورضيعها محررة للعبادة وخدمة بيته على أنوثتها كالذكور، فقيض لها أسباب الحياة الطيبة الحسنة، ونشأت في بيئة تقية يسرت لها جو التربية الحسنة والنشأة السوية والتعليم الرشيد(١).

منهجية التغيير والإصلاح في اختيار الأنبياء عليهم السلام واصطفاؤهم:

إن بيان خط الاصطفاء الرباني من أول آدم عليه السلام حتى يصل إلى آل عمران ... بما يمهد للنفس أن تتلقى أنباء الاصطفاء في آل عمران بانتباه وتشوف ... إذ إنه اصطفاء عريق جداً يرجع إلى بدء الخليقة، ويمضي خلال التاريخ، بقدر من الله، حتى يصل إلى آل عمران ويجيء هذا كله تمهيدا لاصطفاء مريم، ذلك الاصطفاء الفريد على التاريخ كله، ثم اصطفاء ولدها عيسى عليه السلام... كما أن بيان المعجزة في عيسى عليه السلام ليست مفردة في التاريخ فقد سبقها معجزة خلق آدم عليه السلام على ذات المستوى من الإعجاز، وبغير أب في الحالتين، وتأتي قصة امرأة عمران حين نذرت ما في بطنها لله على عادة أهل تلك الفترة إذ كانوا ينذرون أبنائهم للمعابد تقرباً لله، فيعيش الولد في المعبد يتلو ويتعبد ولا يقرب الحياة الدنيا، وتلك عقدة القصة، فقد ولدت أنثى ولم تلد ذكراً كما كانت تتمنى، والأنثى لا يمكن أن توجب للمعبد بدلاً من الذكر الذي كانت تتمناه(٢).

إن من منهجيات التغيير والإصلاح في القرآن الكريم أنه نزل يصلح ويصحح مسار التاريخ الإنساني، ويدير حياة الأمم والشعوب من خلال اختيار الأنبياء واصطفائهم، لتحقيق التغيير والإصلاح التي تسعى إليه أي أمة من الأمم، وهي بذلك تدعونا إلى العودة إلى المنبت الأساسي الذي رسمه القرآن الكريم من خلال ما غرسه من مبادئ وقيم تشيد وتبني التغيير والإصلاح.

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم- الحمداوي ج٢ ص١٣٥-١٣٧.

(٢) انظر: دراسات إسلامية- محمد قطب ص٣٣٠ .

المطلب الثالث

محاجة أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام

إن القرآن الكريم نزل ليصلح ويغير المفهوم المعكوس في المحاجة في إبراهيم عليه السلام بعد أن جادل أهل الكتاب فيه ليزيل وهمهم ويكشف زيفهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٥: ٦٨).

إن الآيات تحكي مجادلة أهل الكتاب في ملة إبراهيم عليه السلام، حيث ادعى اليهود أنه يهودي، وزعم النصارى أنه نصراني، وترد على الطائفتين رداً قوياً، وتبين حقيقة دينه، وأنه كان حنيفا مسلما، وسورة آل عمران مفعمة بالحديث عن أهل الكتاب: تدعوهم إلى الإسلام، وتبين لهم العقيدة الصحيحة، وتفند مزاعمهم حول القرآن الكريم، وديـن الإسلام، وتبطل مفترياتهم في حق مريم وعيسى عليهما السلام، وتبين أن عيسى مثل آدم خلقه الله بقدرته، وجعله بشراً سوياً وليس له من صفات الألوهية ما يزعمون، وتأمر الرسول ﷺ بأن يدعو من يجادله في أمر عيسى عليه السلام بعد اتضاحه إلى المباهلة واستنزال لعنة الله على الكاذبين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦١). وفي سبيل إرساء عقيدة الوحدانية، وبناء الوحدة الإنسانية يؤمر ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى اتفاق على كلمة واحدة هي عبادة الله وحده لا شريك له، وبذلك يتحد الجميع في ظل عقيدة التوحيد، فإن أعرضوا عن ذلك فليتمسك هو ومن معه بالإسلام دين الله القويم(١).

---

(١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام – الشحات محمود شتيت ص٤٥٧-٤٥٨.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٤).

وبعد هذا يساق جدال أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام وذلك في الآيات التي سنتعرض لتحليلها، وهذا الجدال والرد عليه مرتبط بما قبله ارتباطاً وثيقاً، إذ هو قضية من قضاياهم الهامة التي جادلوا فيها الرسول ﷺ، فقد قدم وفد من نصارى نجران إلى المدينة والتقي باليهود واجتمعت الطائفتان عند رسول الله ﷺ، وجادلوه في عدد من القضايا منها أمر عيسى عليه السلام، وتنازعت الطائفتان في شأن إبراهيم عليه السلام[1].

تبدأ الآيات بالإنكار على أهل الكتاب تنازعهم في إبراهيم عليه السلام، وتبطل دعوى اليهود والنصارى في شان ملته بدليل عقلي لا ينكر ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، والنداء لتنبيه أذهانهم وإيقاظ أسماعهم لما يعرض عليهم كي يعقلوه ويتدبروه، ونداؤهم بأهل الكتاب دون اليهود والنصارى لتذكيرهم بالكتاب النازل على كل طائفة منهم مما يقتضي أن يعلموا بما فيه، ويسيروا على منهجه، وفي تذكريهم بذلك مزيد توبيخ لهم على تنازعهم في أمر إبراهيم عليه السلام بالباطل، كما يشير هذا الوصف إلى أن الفريقين من واد واحد، ويقفون معاً في خندق ضد الإسلام وأهله، و(ما) استفهامية، حذفت ألفها لدخول الجار عليها فرقاً بينهما وبين الموصولة: والاستفهام للإنكار والتعجيب من تنازعهم في ملة إبراهيم عليه السلام، ولا محل لهذا التجادل؛ لأنه لا يمكن أن يكون يهودياً أو نصرانياً لتقدمه على نزول الديانتين، وفي الجملة إيجاز بحذف المضاف والتقدير: لِمَ تحاجون في ملة إبراهيم، وفي حذف المضاف إشعار بأن الجدال في حقيقة إبراهيم عليه السلام وماهيته، لما أن دين الإسلام هو المحدد لهويته والمفصح عن حقيقة، فاعتبر جدالهم في دين إبراهيم في إبراهيم نفسه[2].

وجملة (وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ) هي مثار التعجب ومحط الإنكار، وبها بطلان دعواهم، إذ لا يعقل ولا يصدق أن يكون إبراهيم عليه السلام يهودياً أو نصرانياً وهو متقدم على نزول

---

(١) جامع البيان- ابن جرير الطبري ج٤ ص٤٩٠.

(٢) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام- الشحات محمود شتيت ص٤٥٩.

التوراة والإنجيل بزمن كبير، حيث كان بينه وبين موسى عليه السلام ما يقرب من ألف سنة وبين موسى وعيسى ما يقرب من ألفي سنة[1].

ولما كان الدليل على بطلان زعمهم من الوضوح بحيث لا يخفى علي ذي عقل، وبّخَهم على إغفاله وعدم تعقله (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) وهمزة الاستفهام التوبيخي داخلة على مقدر هو المعطوف عليه بالفاء، أي ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان قولكم، أو أتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه، وقيل إن الهمزة مقدمة عن تأخير موقعها بعد حرف العطف فقدمت عليه؛ لأن الاستفهام له الصدارة، أي أفلا تعقلون، والأول هو ما سار عليه الزمخشري ومن تبعه، والثاني رأي الجمهور[2].

تتجلى أمامنا حقيقة إبراهيم عليه السلام ويتبين زيف الباطل وأهله من كذب وافتراء، أن ملة إبراهيم هي الحنفية المسلمة وليست النصرانية أو اليهودية كما زعم الجاهلون، وبهذا تتضح منهجية القرآن الكريم في تصحيح المسار والعقيدة والفكر الفاسد عند أهل الكتاب.

---

(١) جامع البيان- ابن جرير الطبري ج٤ ص٤٩١.

(٢) انظر: الكشاف- الزمخشري ج١ ص٤٣٦، تفسير أبو السعود ج٢ ص٤٨.

المبحث الثالث

التوكل على الله

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم التوكل على الله وفضله

المطلب الثاني: أركان التوكل على الله

المطلب الثالث: منهجية التغيير والإصلاح في التوكل على الله

المطلب الأول

مفهوم التوكل على الله وفضله

أولاً: التوكل في اللغة: إظهار العجز والاعتماد على الغير[١].

ثانياً: التوكل في الاصطلاح: صدق اعتماد القلب على اللّه تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة[٢].

وقال الجرجاني: التوكل هو الثقة بما عند اللّه ﷻ، واليأس عما في أيدي الناس[٣]، والتوكل: تسليم الأمر إلى من هو بيده، والاعتماد على قيامه بالأمر والاستغناء بفعله عن فعلك[٤].

ثالثاً: فضل التوكل على الله:

إن التوكل على الله تعالى له مقام عظيم، وهو من أقوى الأسباب التي تدفع المرء المؤمن إلى تحمل أقدار الله، ولا تظهر هذه المنزلة والمقام إلا عند شدة المصاب وهوله، وبهذا فان المؤمن إذا أصابه أمر من الأمور فزع إلي الله ﷻ، وتوكل عليه وأناب فالتوكل في كل خطوة من خطوات المؤمن هو حق واجب وعقيدة وخلق، وهو من لوازم الإيمان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(سورة آل عمران الآية ١٢٢)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية١٦٠).

والتوكل علي الله ﷻ هو أساس من أسس التوحيد وركن من أركانه؛ لأن أكثر العبادات تتفرع عنه، والمرء يطمئن إلي تلك العقيدة وهذا الخلق؛ لأنه يعرف أن ما وراءه هو لصاحب الأمر والتدبير سبحانه[٥].

---

(١) انظر: مختار الصحاح ص٧٣٤، القاموس المحيط ص١٣٨١.

(٢) جامع العلوم والحكم- ابن رجب ص٤٠٩.

(٣) التعريفات- الجرجاني ص٧٤.

(٤) انظر: مدارج السالكين- ابن القيم ج٢ ص١٢٦.

(٥) انظر: التوكل على الله في القرآن الكريم- معتوقة محمد حسن الحساني ص٣٢.

ويقول ابن القيم: أن التوكل جامع لمقام التفويض والاستعانة والرضا لا يتصور وجوده بدونها[١].

والتوكل هو الأصل الجامع الذي تتفرع عنه الأفعال والعبادات، وهو خلاصة التقرير ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء والرضا به رباً وإلهاً، والرضا بقضائها بل ربما أوصل العبد إلي التلذذ بالبلاء وعده من النعماء[٢].

رابعاً: ثناء الله ﷻ علي المتوكلين:

إن القرآن تنزيل من رب العالمين، وفيه ما يثير النفس ويدعو للتتبع والتأمل ففي ثناء الله ﷻ ما يدعوا إلى الحث على فعل الشيء والقرآن حين يستخدم أسلوب الثناء فإنه يخبر بأنه العاقبة حسنه في الدنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

إن الله تعالى إذا أحب عبداً رزق طاعته فيمتلئ قلب العبد معرفة بالله ﷻ وخوفاً ومهابة وإنابة وتوكلا ولا يبقى في القلب إلا الله ولا تستطيع الجوارح إلا موافقة المحبوب، فالله تعالى يحب الراضين بقضائه والمستسلمين لحكمه المتوكلين عليه في أمورهم جميعها[٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ (سورة النمل الآية ٧٩).

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ فوض أمرك إلى الله، وثق به فيها، فإنه كافيك(**إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ**) لمن تأمله، وفكر ما فيه بعقل، وتدبره بفهم، أنه الحق[٤].

يقول أبو السعود: إن الآية فيها تعليل صريح للتوكل عليه بكونه ﷺ على الحق المبين[٥]. المبين[٥].

---

(١) انظر: مدارج السالكين ج١ ص١٣٦.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد- سليمان بن الوهاب ص١١٠.

(٣) انظر: جامع البيان- الطبري ج٢ ص٣٥٥.

(٤) انظر: جامع البيان- الطبري ج٥ ص٥٨١.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٤ ص٢١٥.

المطلب الثاني

أركان التوكل على الله ﷻ

إن لكل أمر وشأن أركاناً ودعائم يقوم عليها بناؤه، فالإسلام له أركانه الخمسة، فلا يقوم بناء إلا على هذه الدعائم حتى يسلم هذا البناء من الخلل، والتوكل على الله ﷻ له أركانه وركائزه التي يقوم عليها، ليكون توكلاً حقيقاً لا تشوبه شائبة.

فجميع الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً فهي متمكنة من القلوب راسخة لا تتزلزل، وعلى هذا ربى رسول الله ﷺ، الرعيل الأول، فاليقين هو محط الإيمان.

إن أركان التوكل ودعائمه هي الأشياء التي يتقوى، ويتوقف الإيمان، والعمل عليها، ولا يقوم ذلك العمل، والإيمان إلا بها، وإذا فقد ركن أو لم يتحقق إنهدم الإيمان والعمل معاً.

فلزم من ذلك تقوية هذه الأركان قدر المستطاع وبشتى الأساليب، وهذا قائم علي اليقين والإيمان بالله تعالى، فالمؤمن يزيده إيمانه طاعة لربه، فما من عمل إلا وله ركائز يعمل بها، ويكون بها صائباً، ومنها ما هو قلبي، ومنها ما هو عملي، وترك أي منها يوجب الهدم أو النقصان، والتوكل له أركانه الأربعة وهي:

الركن الأول: اليقين والثقة بما عند الله تعالى: إن اليقين والثقة هما الركن الأول في التوكل وهما بمثابة القاعدة الأساسية؛ لأن اليقين والثقة تزيد المرء المؤمن من ربه قرباً وحباً، ومعرفةً، ورضى، وخضوعاً، واستكانة، وكلما ازداد اليقين والثقة في قلب المرء المؤمن سلك بهما طريق السلامة إلي السلام، وبهما يكون التوكل علي الله ﷻ صحيحاً سليماً.

فاليقين ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عرف الله ﷻ، وبالعقل عقل عن الله سبحانه[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٦٠).

---

(١) الفيروز آبادي- بصائر ذوي التمييز ج٥ ص٣٩٨.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٧٣).

فمن خلال هذه الآيات نستشعر يقين المؤمن بالله ﷻ وثقته بالله، فالمؤمن واثق أن الله تعالى وحده الكافي فلا يحتاج معه إلي أحد، فعلي الله التوكل فهو المعين والمانع من العدو ولن يغلب المؤمن بعد عون الله ﷻ فخشيته، ويقينه بالله تعالى زاده تصديقاً، ويقيناً في دينه وإقامة على نصرة عدوه(١).

فمتى نزل اليقين والثقة في نفس المؤمن كان من أكثر الناس توحيداً بربه من أصدق الناس طلباً وقوة في الإدارة، وكمال الانقياد، فيعكف القلب على محبة الله ﷻ، وذكره بالإجلال والتعظيم، وتكون جوارحه على الطاعة، والإخلاص، فعلى قدر نزول اليقين واستقراره في النفس يظهر اللطف عند النوازل، فإن أكمل العبد القيام بالأوامر ظاهراً وباطناً ناله اللطف ظاهراً وباطناً، وإن قام بصورها دون حقائقها ناله اللطف في الظاهر وقل نصيبه من الباطن، فلنقو اليقين والثقة بذكره ومعرفته والاتصال به، والتعليق به وحده سبحانه(٢).

الركن الثاني: فهو قطع كل مؤمل دون الله تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٦٠).

إن المؤمن لا يكمل إيمانه إلا بتوكله، فالآية دليل على ذلك، فليس بعد الله ﷻ أحد فهو الناصر والمؤمل، والملاذ والملجأ. فالله تعالى شملت رحمته الوجود كله، ويعجز الإنسان عن إحصائها في ذات نفسه، وتكوينه، وما سخر له من حوله، ومن فوقه، وتحته، وما أنعم به عليه، مما يعلمه، ومما لا يعلمه، فرحمته سبحانه شملت البر والفاجر، فكيف بمن هذه صفاته سبحانه لا تقطع المؤمل دونه، فقد قطع إبراهيم عليه السلام الأمل في غير الله ﷻ، ووجد الأمل في الله تعالى وسط النار، ووجدها يوسف عليه السلام في غياهب الجب، وفي غياهب السجن، ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت ووجدتها أم موسى في قلبها حين قذفته في اليم، وهي لا تملك له حولاً، ولا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ج٤ ص٢٥٤.

(٢) الفوائد- ابن القيم ص٢٦٠.

طولاً، ووجدها موسى عليه السلام في قصر عدوه المتربص به فرعون كما وجدها أهل الكهف في كهفهم، وأخيراً وجدها محمد رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار، ووجدها كل أمل في الله، لاجئ إلي الله ﷻ وحده يائس ممن سواه سبحانه[1].

فالمرء المؤمن يأمل في الله تعالى، ويحسن الأمل، والرجاء في قبوله طاعته، ولكن الإنسان أو المرء المؤمن العاقل البصير الذي يحب النجاة لنفسه لا يسرف في الأمل، كما أن عليه أن لا ييأس من روح الله ﷻ، ذلك أن اليأس من روح الله تعالى كبيرة من الكبائر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ (سورة يوسف الآية ٨٩).

إن قطع كل مؤمل دون الله تعالى يورث في النفس اليقين في الله تعالى وزيادة في الإيمان، وبهذا يحصل الفرج والتنفيس؛ لأن من أمل في الله ﷻ هو المؤمن الذي يرجو دائما فرج الله تعالى، فسبحانه من كان قيماً علي خلقه مدبراً لهم.

الركن الثالث: العمل والعزيمة مع الأخذ بالأسباب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (سورة التوبة الآية ١٢٩).

أمر الله ﷻ نبيه ﷺ على المضي في الأمر والعزم عليه والمعني: أي عزمت لك ووفقتك وأرشدتك... للتوكل علي الله ﷻ... فقد امتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه سبحانه فقال ﷺ: "**لا ينبغي لنبي يلبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله**"[2]، أي ليس ينبغي له إذا عزم أن ينصرف؛ لأنه نقص للتوكل الذي شرطه الله ﷻ مع العزيمة[3].

---

(١) التوكل على الله في القرآن الكريم- معتوقة محمد حسن الحساني ص١٣٣-١٣٤.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الاعتصام- باب وأمرهم شورى بينهم ج٩ ص١١٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ج٤ ص٢٥٢.

فهذا رسول الأمة وسيد ولد آدم من أمره الله تعالى بالتوكل عليه وشرع له الأخذ بالأسباب في جوانب الحياة كلها، إن الأمر بالتوكل من صميم العقيدة، وخالص التوحيد، وجوهر العبودية لله؛ لأنه يعني إظهار العجز لجلاله، وعدم الركون إلي الأسباب من كل وجه، وإن لم ينقطع عنها.

وكما أن التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها العبد على مطلوبه، وحيث يكون قلبه معلقاً بالله ﷻ لا بالأسباب، وعدم الإخلال بها؛ لأن كثيراً ممن يعتقد أن التوكل على الله تعالى يقتضي ترك العمل والعزم عليه، وعدم السعي والأخذ بالأسباب لطلب أمر ما، وإن فعل شيء من ذلك قادح في التوكل، وهذا فهم خاطئ، فالله تعالى أمر عباده بالسعي(١).

إن السعي في تحصيل المكاسب لا ينافي التوكل على الله ﷻ في جميع الأقطار والأقاليم والأرجاء.

الركن الرابع: سكون القلب إلي ما قسم وقدر الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية١٦٠).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۚ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴾ (سورة الأنعام الآية ١٠٧).

إن سكون النفس إلي ما قسم وقدر الله سبحانه سواء كان هذا القدر على مراد العبد أو على خلافه لازم مأمور به العبد؛ لأن السكون والرضى من الإيمان، فالمؤمن ساكن راض متلق أقدار ربه بالانشراح والتسليم وطيب النفس، كذلك فإن الرضى والسكون روح التوكل، وروح اليقين، والرضى والسكون يقوم مقام كثير من التعبدات التي تشق البدن؛ لأن السكون يفتح باب حسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس، فكل من سكن قلبه إلي ما قسم وقدر الله ﷻ فقد أقام الإيمان وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير(٢).

---

(١) التوكل على الله في القرآن الكريم- معتوقة محمد حسن الحساني ص١٣٦-١٣٧.

(٢) التوكل على الله في القرآن الكريم- معتوقة محمد حسن الحساني ص١٣٨.

المطلب الثالث

منهجية التغيير والإصلاح في التوكل على الله

أبرزت هذه السورة الكريمة أهم منهجيات التغيير والإصلاح في بيان التوكل على الله وأهميته، فإن الله تعالى أوجد كل شيء على كيفية خاصة وفي وقت وترتيب خاص بحسب علمه، وإرادته، وهذا هو قدر الله ﷻ وقضاؤه، والله تعالى عدل في قضائه وقدره، حكيم في تصريفه وتدبيره، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن فعلى المسلم أن يسكن ويرضى قلبه بما قسم الله سبحانه، وقدر من خير أو شر حلو أو مر، فهو في سكينة، وطمأنينة، ورضى، وقد أمرنا تعالى بالسعي في الأرض بجد واجتهاد، والأخذ بجميع الأسباب، وحسن التوكل على الله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية١٦٠).

فإن سكون القلب والاستسلام، والرضى بقدر الله من خير أو شر من جملة ثمرات المعرفة، فالإيمان بالقضاء والقدر شرط من شروط الإيمان وركن من أركان التوكل على الله ﷻ، فهذه الدعائم الأربعة لها أهمية عظمى في حياة المؤمن كفرد وفي حياة المؤمنين كمجتمع، وبها يكتمل التوكل وتحصل مرادات العبد النفسية، والاجتماعية، والدينية، والدنيوية، فكل ما يجري على المرء من أقدار الله تعالى لا يعلق عليها سواء بفوات محبوب أو حصول مكروه.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

يتضح لنا من خلال دراستنا لهذه الأركان والركائز أنها متداخلة ومتلازمة عند أدائها، فينبغي الالتزام بها، وأخذها بقوة وفقاً للأدلة.

إن الأخذ بالأسباب لا يعني أن الأمر سيتم ويكتمل ولكن المسلم مأمور بالأخذ بالأسباب والتوكل على الله ﷻ وبعد أن تكتمل هذه المنظومة يقدر الله ﷻ للمؤمن ما هو مكتوب ومقدر له.

منهجيات التغيير والإصلاح في ضوء سورة آل عمران

الفصل الثالث
المنهجية التربوية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: التربية بالقصص
المبحث الثاني: التربية بضرب الأمثال
المبحث الثالث: التربية بالأحداث

المبحث الأول

التربية بالقصص

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم القصص لغةً واصطلاحاً
المطلب الثاني: أنواع القصص وفوائدها
المطلب الثالث: منهجية التغيير والإصلاح في التربية بالقصص

المطلب الأول

مفهوم القصص لغةً واصطلاحاً

مقدمة:

إن التربية بالقصص هي وسيلة التغيير الأساسية؛ لأن الوسائل الأخرى لإحداث التغيير في المجتمعات إنما تتعامل فقط مع أمور نظرية بصفة أساسية، أعني التغيير الاجتماعي أو العسكري أو الثورة الاجتماعية، إنما تتعامل مع أمور ظاهرية، أما النصوص فلا تتغير بهذه الأسباب، النصوص لا تتغير إلا عن طريق التربية، كما فعل الرسول ﷺ.

إن التربية بالقصص القرآني هي أحد الأساليب التي حملها القرآن العظيم ليحاج بها الناس، وليقطعهم عن الجدل، شأنه في هذا شأن ما جاء في القرآن من أساليب الاستدلال والمناظرة والتعجيز(١).

أولاً: القصص في اللغة:

القَصُّ: تَتَبُّعُ الأَثَرِ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ(٢)، وقصّ عليّ خبَره يقُصُّه قَصّاً وقَصَصاً أَوْرَدَه والقَصَصُ الخبرُ المَقْصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أَغْلَبَ عليه(٣).

قَصَّ أثره تتبعه من باب رد و قَصَصاً أيضا ومنه قوله تَعَالَىٰ:﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (سورة الكهف الآية ٦٤)، وكذا اقْتَصَّ أثره و تَقَصَّصَ أثره وقد اقْتَصَّ الحديث رواه على وجهه و قَصَّ الحديث رواه على وجهه و قَصَّ عليه الخبر قَصَصاً(٤).

القصص: رواية الخبر والخبر المقصوص والأثر(٥).

ثانياً: القصص في الاصطلاح:

القصص في الاصطلاح هو: إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة(٦).

---

(١) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه- عبد الكريم الخطيب ص٨.

(٢) تاج العروس ج١٨ ص٩٨.

(٣) لسان العرب ج٧ ص٧٣.

(٤) مختار الصحاح ج١ ص٥٦٠.

(٥) المعجم الوسيط ج٢ ص٧٤٠.

(٦) مباحث في علوم القرآن- مناع القطان ص٣٠٦.

والقصة في القرآن هي تتبع أحداثٍ ماضيةٍ واقعةٍ، يعرض فيها ما يمكن عرضه، ومن هنا جاءت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن قصصاً مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ؛ فقد استعمل القرآن الخبر والنبأ بمعنى التحدث عن الماضي، وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعملا فيه، ومن هذه التفرقة نتبين دقة ألفاظ القرآن الكريم؛ جرياً على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام وإعجاز؛ فقد استعمل النبأ عن الأحداث البعيدة زماناً أو مكاناً في حين استعمل الخبر في الكشف عن الوقائع قريبة العهد والوقوع، أو التي لا تزال مشاهدتها قائمة للعيان(١).

والقصة في القرآن ليست عملا فنيًا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الأدبية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكريم الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء؛ والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة وللنعيم والعذاب، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصّلها والأمثال التي يضربها أو غير ذلك من الموضوعات، وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريقة عرضها، لمقتضى الأغراض الدينية، ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني في عرضها، ووفائها بهذا الغرض تمام الوفاء، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها، ولا سيما خصيصة القرآن الكبرى في التعبير وهي التصوير(٢).

يتبين مما سبق أن القصة القرآنية لم تكن للتسلية وضياع الوقت، وإنما جاءت لتكون شاهداً على الأمم السابقة ليعتبر من يأتي بعدها ويتعظ، وليثبت بها فؤاد المؤمنين، ولإبلاغ دعوة الله إلى العالمين.

---

(١) القصص القرآني- عبد الكريم خطيب ص ٤٤.

(٢) التصوير الفني في القرآن- سيد قطب ص١٤٣.

المطلب الثاني

أنواع القصص وفوائدها

أولاً: أنواع القصص في القرآن: والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء: وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين. كقصة نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة: وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ كغزوة بدر وأُحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، ونحو ذلك(١).

ثانياً: فوائد قصص القرآن:

وللقصص القرآني فوائد نجمل أهمها فيما يأتي:

١. إثبات الوحي والرسالة، فذكر الرسول ﷺ لقصص السابقين وهو لم يكن كاتباً، يدل على أن القرآن وحي، وقد جاءت الآيات دالة على ذلك منها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٢)(٢).

٢. بيان وحدة الدين في مصدره وجوهره، فالدين كله من عند الله تعالى، وهو قائم على أساس عقيدة التوحيد التي تقتضي عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ عبادة ما سواه(٣).

٣. حكمة الأنبياء ودعوتهم على بصيرة في الدعوة بأساليب بين الترغيب والترهيب، وبين أسلوب التدرج وأسلوب التوازن بين عبادة الله وعبادة الأوثان.

---

(١) مباحث في علوم القرآن- مناع القطان ص٣٠٦.

(٢) التصوير الفني في القرآن- سيد قطب ص١٤٥.

(٣) التصوير الفني في القرآن- سيد قطب ص١٤٦.

٤. بيان نعم الله تعالى على أنبيائه وأصفيائه وعباده المؤمنين، وأظهر قدرة الله تعالى على فعل ما يريد، من المعجزات التي تؤيد أنبياءه ورسله[١].

المطلب الثالث

منهجية التغيير والإصلاح في التربية بالقصص

إن المتأمل في القصص القرآني يجده يوجه الأفراد والشعوب والأمم إلى منهجية التغيير والإصلاح بسرد سيرهم والوقوف على أهم ملامح التغيير والإصلاح الذي رسمه الأنبياء عليهم السلام في تعاملهم مع أقوامهم، واصطفاء الله للأنبياء قائم على علم يشعرنا بحكمة الاصطفاء، فاصطفاء آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران ذرية واحدة متسلسل بعضها من بعض لم يصطفها الله عبثاً بل اصطفاها بعلمه فيها وسمعه لأقوالها وما في أنفسهم ولحكمته البالغة العظيمة في تسيير هذا الكون[٢]، فكانت بداية الاصطفاء لآدم عليه السلام ومن بعده نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وآل عمران عليهم السلام فكان الأصل طيب والمنبت طيب والذرية طيبة؛ لأنهم كانوا من خير البشر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٣٣:٣٤).

ومع أنهم عليهم السلام فضلوا على العالمين، إلا أنهم لم يكونوا بعيدين عن دائرة الاستهداف الرباني، فلقد نالوا نصيبهم من الابتلاء والتمحيص، فكانوا نعم مثال يحتذى به، وخير من صبر على المحن، فلذلك وغيره كان لابد من سرد قصصهم للعبرة والعظة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة يوسف الآية ١١١).

ومن الهدى والرحمة بالمؤمنين أن ضرب لهم مثلا بقصة زكريا عليه السلام، حيث بلغ من الكبر عتيا وكانت امرأته عاقرا، ولكن إيمانه بالله ﷻ جعله صابرا ينتظر تغيير الحال من الله تعالى، فلم يقنط ولم يجزع، بل صبر وصلى ودعا ربه سبحانه فجاء الفرج من الله ﷻ، قَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) مباحث في علوم القرآن- مناع القطان ص٣٠٧.

(٢) الأساس في التفسير- سعيد حوى ج٢ ص٧٦٠.

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٣٨:٤١).

وجاءت قصة مريم عليها السلام ممحصة للمؤمنين والمؤمنات، فقد كانت كزلزال يقع على مريم عليها السلام ولنا أن نتخيل الموقف معا، امرأة عفيفة طاهرة تبشر بأنها ستلد غلاما من غير أب، ولكنه أمر الله سبحانه وتعالى، يحكي القرآن الكريم لنا القصة بأسلوب جميل سلس، كامل متكامل وكأنك تعيش مع أحداث القصة خطوة وراء خطوة، ويتضح ذلك في هذا النص القرآني الجميل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٤٢: ٤٨).

إن في قصة عيسى عليه السلام نجد أنه لا بد لكل صاحب عقيدة ودعوة من أنصار ينهضون معه، ويحملون دعوته، ويحامون دونها، ويبلغونها إلى من يليهم، ويقومون بعده عليها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ۖ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٥٢:٥٣).

إن في الآية التوجه لعقد البيعة مع الله مباشرة لفتة ذات قيمة... إن عهد المؤمن هو ابتداءً مع ربه، ومتى قام الرسول بإبلاغه فقد انتهت مهمة الرسول من ناحية الاعتقاد؛ وانعقدت البيعة مع الله ﷻ، فهي باقية في عنق المؤمن بعد الرسول... وفيه كذلك تعهد لله تعالى بإتباع الرسول، فليس الأمر مجرد عقيدة في الضمير؛ ولكنه إتباع للمنهج، والاقتداء فيه بالرسول.

كما أن المسلم المؤمن بدين الله ﷻ مطلوب منه أن يؤدي شهادة لهذا الدين، شهادة تؤيد حق هذا الدين في البقاء؛ وتؤيد الخير الذي يحمله هذا الدين للبشر... وهو لا يؤدي هذه الشهادة حتى يجعل من نفسه ومن خلقه ومن سلوكه ومن حياته صورة حية لهذا الدين، صورة يراها الناس فيرون فيها مثلاً رفيعاً، يشهد لهذا الدين بالأحقية في الوجود، وبالخيرية والأفضلية على سائر ما في الأرض من أنظمة وأوضاع وتشكيلات(١).

وهو لا يؤدي هذه الشهادة كذلك حتى يجعل من هذا الدين قاعدة حياته، ونظام مجتمعه، وشريعة نفسه وقومه، فيقوم مجتمع من حوله، تدبر أموره وفق هذا المنهج الإلهي القويم، وجهاده لقيام هذا المجتمع، وتحقيق هذا المنهج؛ وإيثاره الموت في سبيله على الحياة في ظل مجتمع آخر لا يحقق منهج الله في حياة الجماعة البشرية... هو شهادته بأن هذا الدين خير من الحياة ذاتها وهي أعز ما يحرص عليه الأحياء! ومن ثم يدعى شهيداً، فهؤلاء الحواريون يدعون الله أن يكتبهم مع الشاهدين لدينه... أي أن يوفقهم ويعينهم في أن يجعلوا من أنفسهم صورة حية لهذا الدين؛ وأن يبعثهم للجهاد في سبيل تحقيق منهجه في الحياة، وإقامة مجتمع يتمثل فيه هذا المنهج، ولو أدوا ثمن ذلك حياتهم ليكونوا من الشهداء على حق هذا الدين، وهو دعاء جدير بأن يتأمله كل من يدعي لنفسه الإسلام... فهذا هو الإسلام، كما فهمه الحواريون، وكما هو في ضمير المسلمين الحقيقيين، ومن لم يؤد هذه الشهادة لدينه فكتمها فهو آثم قلبه، فأما إذا ادعى الإسلام ثم سار في نفسه غير سيرة الإسلام؛ أو حاولها في نفسه، ولكنه لم يؤدها في المجال العام، ولم يجاهد لإقامة منهج الله ﷻ في الحياة إيثاراً للعافية، وإيثاراً لحياته على حياة الدين، فقد قصر في شهادته أو أدى شهادة ضد هذا الدين (٢).

---

(١) في ظلال القرآن ج١ ص٤٠٢.

(٢) في ظلال القرآن ج١ ص٤٠٣.

تبرز من خلال القصص القرآني منهجية التغيير والإصلاح للفرد والأسرة والمجتمع والأمة، من خلال القصص القرآني المحكم القوي الأسلوب يستطيع المربون أن يستفيدوا منه في هداية الناس وفي إصلاح المجتمعات وتغيير نمط حياتهم إلى الأفضل، فالقصة القرآنية تمد المربين بزاد عظيم لتهذيب النفوس وتقويم السلوك وبذلك تحقق أهدافاً دعوية وأخلاقية وتربوية لذا عليهم أن ينهلوا من هذا المعين الصافي، ليصلحوا أمتهم ويرتقوا بها من وحل الجهالة والضلال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٢).

المبحث الثاني

التربية بضرب الأمثال

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم الأمثال في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: أهمية الأمثال وأنواعها

المطلب الثالث: منهجية التغيير والإصلاح في التربية بضرب الأمثال

المطلب الأول

مفهوم الأمثال في اللغة والاصطلاح

إن الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسي يقربها إلى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني، والتمثيل هو القالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان، بتشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس، وقياس النظير على النظير، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالًا، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له، واقتناع العقل به، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه(١).

أولاً: المثل في اللغة:

إن للفظ المثل معاني مختلفة، كالنظير والصفة والعبرة وما يجعل مثالاً لغيره يُحذا عليه إلى غير ذلك من المعاني(٢).

قال الفيروز آبادي: المِثْل، بالكسر والتحريك، الشبه، والجمع أمثال؛ والمَثَلُ، محرّكة، الحجة، والصفة؛ والمثال: المقدار والقصاص، إلى غير ذلك من المعاني(٣).

قال ابن فارس: "مثل" يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال بمعنى واحد.

وقوله: مَثَّلَ به إذا نُكِّل، هو من هذا أيضاً؛ لأنّ المعنى فيه إذا نُكل به: جعل ذلك مثالاً لكل من صنع ذلك الصنيع أو أراد صنعه. والمثُلات أيضاً من هذا القبيل، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ **وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ** ﴾ (سورة الرعد الآية ٦)، أي العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لأَجله، وواحدها: مُثُل(٤).

---

(١) مباحث في علوم القرآن– مناع القطان ص٢٨١.

(٢) لسان العرب ج١٣ ص٢٢.

(٣) القاموس المحيط ج٤ ص٤٩.

(٤) معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٢٩٦.

ثانياً: المثل في الاصطلاح:

وهو من "مثل الشيء مثولاً" إذا انتصب بارزا فهو مائل، ومثل الشيء بالتحريك، صفته التي توضحه وتكشف عن حقيقته، أو ما يراد بيانه من نعته وأحواله، وقد يكون تمثيل الشيء، أو وصفه والكشف عن حقيقته عن طريق المجاز، أو الحقيقة، بتشبيهه، وأبلغه تمثيل المعاني المعقولة بالصورة الحسية، وعكسه ومنه الأمثال المضروبة"(١).

فهو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهًا أو قولًا مرسلاً(٢).

المطلب الثاني

أهمية الأمثال وأنواعها

أولاً: أهمية المثل في القرآن:

١. إن لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد(٣).

٢. الأمثال القرآنية والنبوية دوافع تحرك العواطف والوجدان، فيحرك الوجدان الإرادة، ويدفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير، والإرادة الطيبة وباستحضار الأمثال يحقق الغرم عن توجيه السلوك فهو سلاح بلاغي عاطفي عقلي بليغ الأثر، عظيم النتائج، جم الفائدة من أهمية الأمثال تربية العقل على التفكير الصحيح القياسي المنطقي السليم.

ثانياً: أنواع الأمثال في القرآن:

الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الأمثال المصرَّحة: وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه، وهي كثيرة في القرآن أورد منها واحدة اختصاراً:

---

(١) تفسير المنار ج١ ص١٦٧.

(٢) مباحث في علوم القرآن ٢٩٢.

(٣) الكشاف- الزمخشري ج١ ص١٠٩.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (سورة الرعد الآية ١٧).

شبه الوحي الذي أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية، والسيل إذا جرى في الأودية احتمل زبدًا وغثاءً، فكذلك الهُدى والعلم إذا سرى في القلوب أثار ما فيها من الشهوات ليذهب بها، وهذا هو المثل المائي في قوله: **(أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً)** وهكذا يضرب الله الحق والباطل.

وذكر المثل الناري في قوله: **(وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ)** ... فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سبكها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به فيذهب جفاء. فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث[1].

النوع الثاني: الأمثال الكامنة: وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز: يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة كثيرة جداً أذكر واحدة منها اختصاراً: قال ﷺ: "**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**"[2].

النوع الثالث: الأمثال المرسلة في القرآن: وهي جمل أرسلت إرسالًا من غير تصريح بلفظ التشبيه. فهي آيات جارية مجرى الأمثال. ومن أمثلة ذلك: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ** ﴾ (سورة النجم الآية ٥٨).

---

(١) مباحث في علوم القرآن ص٢٩٤.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الأدب- باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ج٣ ص٣١.

المطلب الثالث

منهجية التغيير والإصلاح في التربية بضرب الأمثال

إن الشدائد محك الرجولة ومجال البطولة، والتجارب بوتقة تصهر خبث النفس وتظهر الشخصية ناضجة مصقولة متكاملة، والأحداث تربي العزائم الخائرة وتوجه النفسية الهشة الهامشية إلى ما فيه تماسكها وصلابتها وصلاحيتها، والمؤمنون الصادقون كانوا في بدء الدعوة الإسلامية قلة مستضعفين تتناوشهم الخطوب، وتزعزع إيمانهم الحوادث، ولاسيما حديثو العهد منهم بالإيمان. فاقتضت حكمة الله من أجل هذا أن تقدم لهؤلاء المستضعفين وقوداً يستمدون منه القوة، وزاداً يستعينون به على تمكين العقيدة وتثبيت مفاهيمها حتى تجد في نفوسهم أرضا خصبة تنبت فيها وتزهر.

من أجل هذا اتجهت بعض آيات القرآن إلى ضرب الأمثلة للمؤمنين، تخبرهم أن الابتلاء ليس بمقصور عليهم وحدهم، وأن المؤمنين السابقين أوذوا في سبيل عقيدتهم، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم، ونزل بساحتهم من العناء والإيذاء والمحن والفتن والبأساء والجهد ما كان فوق الطاقة والجهد، وما بذلوا في سبيل مدافعته ومكافحته الكثير من جهدهم وجهودهم وما زادهم ذلك كله إلا إيماناً فوق إيمانهم وتسليماً بسلامة جهادهم وأهدافهم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤٣)، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٨٦).

آيات وأمثال من تربية وتوجيه تشد العزم وتصقل الروح وتقوي الإرادة، وتقوم النفس... نفس المؤمن الذي علم أن ما يعانيه مؤمنو اليوم لا يقاس بما قاساه المؤمنون السابقون وأن الابتلاء تمحيص نهايته فوز، واختبار عاقبته صلاح وفلاح، ولا جرم، فالمؤمنون أصحاب رسالة وأهداف، لذا كانت تبعاتهم أكثر، ومسؤولياتهم أخطر، والحفاظ على ذلك كله يستلزم المزيد من المكابدة والمجاهدة والمجالدة والمغالبة[1].

---

(١) الأمثال في القرآن- محمود بن الشريف ص٢٣-٢٤-٢٥.

المبحث الثالث

التربية بالأحداث

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم الأحداث لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني: خصائص التربية بالأحداث

المطلب الثالث: منهجية التغيير والإصلاح في التربية بالأحداث

المطلب الأول

مفهوم الأحداث لغة واصطلاحاً

إن التربية بالأحداث من الأساليب التي انتهجها القرآن الكريم في تربية المسلمين، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهي ذات ميزة خاصة تحدثها في النفوس، وقد قام القرآن الكريم يربي الأمة المسلمة في منشئها باستغلال الأحداث في تربية النفوس، وكان من نتيجته بروز أمة عظيمة في التاريخ شهد لها خالقها أنها خير أمة أخرجت على وجه الأرض.

أولاً: الأحداث في اللغة:

الأحداث جمع حدث، قال الأصفهاني: حدث: الحدوث كون الشيء بعد أن لم يكن عرضاً كان ذلك أو جوهرا وإحداثه إيجاده، وإحداث الجواهر ليس إلا لله تعالى والمحدث ما أوجد بعد أن لم يكن وذلك إما في ذاته أو إحداثه عند من حصل عنده نحو: أحدثت ملك[1].

ثانياً: الأحداث في الاصطلاح:

الحدث موقف يمر بالإنسان يثير الفرح أو الحزن أو يجلي حقيقة تثير المشاعر، وتحرك العواطف[2].

المطلب الثاني

خصائص التربية بالأحداث

١- الاستفادة من تجارب السابقين التى تدور بين موقفين: إيجابي يؤتسى به، وسلبي يبتعد عنه، فالإيجابي يشد العزائم، وتحول المفاهيم إلى حركة وهذا ما يخيف الجاهلية، وقريش لم تقف في وجه الحنفاء الذين كانوا على التوحيد قبل بعثة النبي ﷺ لعلمها أن فكرهم شعور فردي لم يتحول إلى حركة.

٢- أنها بطيئة وئيدة، ففي حساب الزمن استغرقت ثلاثة عشر عاماً، بينما لم يستغرق بناء الدولة سوى عشر سنوات، وفي حساب الوحي نزل أكثر من نصف القرآن في العهد المكي، ذلك أن مهمة الإصلاح وتغيير النفوس ليست سهلة، تحتاج إلى جهد يرتقي بهم من حال إلى حال.

---

(١) المفردات ص٢١٦-٢١٧.

(٢) التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها- الجدري ص٢٨٤.

٤ -أنها تربط النفس بالعمل لا بالنتيجة، وهذا يستمد قيمته من الإخلاص وإصلاح النية، وله أيضاً نتائج عظيمة في واقع الحياة، فأمر النتيجة يوكل إلى علام الغيوب فهو أعلم بحكمته الوقتَ المناسبَ لقطف الثمرة، وفي حديث عثمان بن عفان ﷺ قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ آخذاً بيدي نتمشى بالبطحاء، حتى أتى على آل عمار بن ياسر، فقال أبو عمار: يا رسول الله، الدهر هكذا؟! فقال له النبي ﷺ: "اصبر" ثم قال: "**اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت**"[١]، وقد مات آل ياسر ولم يشعرا أنهما وصلا إلى نتيجة؛ لأن التربية النبوية علمت المؤمنين أن يعطوا في هذه الدنيا ولا يأخذوا فيها شيئاً، فهي علّقت قلوبهم بالآخرة بالجنة والرضوان[٢].

المطلب الثالث

منهجية التغيير والإصلاح في التربية بالأحداث

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤٠).

أخبر تعالى على سبيل التسلية أن الأيام على قديم الدهر لا تبقى لناس على حالة واحدة. والمراد بالأيام أوقات الغلبة والظفر، يصرفها الله على ما أراد تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء[٣]، أي بأن نرفع من نشاء تارة ونرفع عليه أخرى، ولما كان التقدير: ليدل على من كانت له الدولة، فيعلم كل أحد أن الأمر لنا بلا شريك ولا منازع عطف عليه قوله: (**وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ**) أي المحيط بجميع الكمال[٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ** ﴾ (سورة آل عمران الآية ١١٠).

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٤٩٣.

(٢) التربية النبوية بالأحداث- محمد أمحزون، موقع المسلم www.almoslim.net.

(٣) البحر المحيط ج٣ ص٦٨.

(٤) نظم الدرر ج٢ ص١٦٠.

عندما نزل القرآن الكريم لم ينتفعوا به بل ناصبوه العداء، وفي الوقت الحالي لم ينتفع الكثير من العرب والمسلمين، وتأتي الآيات في سورة آل عمران لتغيير وتصحيح ذلك الاعوجاج.

وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة؛ لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة، بما أنها هي خير أمة، والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض، ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية، إنما ينبغي دائماً أن تعطي هذه الأمم مما لديها، وأن يكون لديها دائماً ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح، والتصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والعلم الصحيح...، فهو النهوض بتكاليف الأمة الخيرة، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب، وبكل ما في طريقها من أشواك... إنه التعرض للشر والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد... وكل هذا متعب شاق، ولكنه كذلك ضروري لإقامة المجتمع الصالح وصيانته؛ ولتحقيق الصورة التي يحب الله أن تكون عليها الحياة(١).

إن ما حصل في معركة أحد حين عايش الصحابة رضي الله عنهم تلك الأحداث المؤلمة، والتي أصابتهم بسبب مخالفة الرماة أمر الرسول ﷺ، فقد خرجوا من المعركة وهم في حالة جسدية ونفسية محطمة، فنزلت الآيات الربانية الكريمة، تمسح الجراحات بتلك التوجيهات الكريمة التي لامست شغاف القلوب، وأعطت دروساً للمستقبل ظلت عالقة بالأذهان دهراً طويلاً، وكانت دروساً للأمة كلها إلى يوم الدين، كما أن تلك التوجيهات التي تنزلت عقب المعركة كشفت أحوال المنافقين، وأعطت تصوراً لمن همَّ بالفشل من المؤمنين لولا عناية الله وولايته، وتحدث عن بعضهم وفرار بعضهم الأخر، والله سبحانه وتعالى عندما ذكر تلك الفاجعة التي أصابت خيار الأمة وإمامها ﷺ، لم يعنف، ولم يوبخ؛ لأن الموطن لا يحتمل ذلك، فالأمر خطير، والمصاب جلل، والشهداء كثر، والجراحات لازالت تنزف، والقلوب مكلومة.

والنفوس في هذا الموطن تحتاج إلى تربية علاجية، تكون فيما بعد تربية لكل مؤمن إلى قيام الساعة، فنزلت الآيات تعالج الموقف معالجة تربوية، بالمواساة تارة، والإشادة بالبطولات تارة أخرى، والتنبيه على آثار المعاصي والآثام، حتى أن المولى ﷻ أعلن عفوه وصفحه عمن

---

(١) في ظلال القرآن ج١ ص٤١٦-٤١٧.

أســـاء وقصـــر، قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾(سورة آل عمران الآية ١٥٥).

إن لكل جزئية من جزئيات هذا الحدث عبرة، وفي كل موطن من مواطنه درساً، وفـــي كل آية نزلت تعالج الموقف تربية لذلك الجيل الفذ والأمة بأسرها بعد ذلك(١).

إن القرآن العظيم يوجه الباحثين عن التغيير والإصلاح من خلال التربيـــة بالأحـــداث الواقعية الحسية التي عاشتها الأمة المسلمة والتي تتشابه أحداثها من وقت لآخر في التـــاريخ إن تربية الأجيال الإسلامية هي أمانة في أعناق كل مربي يريد أن تعلو راية التوحيد وأن ينتشـــر الإسلام في ربوع العالمين.

ولذلك كله كان لزاماً علينا أن ندقق النظر فيما ورد في القرآن الكريم من أحداث عظيمة ومواقف ثابتة غيرت مجرى التاريخ وحرفت البوصلة بالاتجاه الصحيح إننا كلما أمعنا التأمـــل والتدبر في كتاب الله ﷻ وجدنا فيه ما يصلح أحوالنا وما يثبتنا أمام الأمواج المتلاطمة والرياح العاتية التي تعصف بأمتنا الحبيبة.

(١) التربية بالأحداث في السنة النبوية وتطبيقاتها التربوية- الغريب علي العمري ص٦١-٦٢.

الفصل الرابع
المنهجيات القيمية والأخلاقية

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الثاني: الشورى

المبحث الثالث: العلم

المبحث الرابع: الرفق

المبحث الأول

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته

المطلب الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الثالث: المراتب الأساسية للتغيير

المطلب الأول

مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته.

أولاً: مفهوم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

إن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في غاية الأهمية بالنسبة للمجتمع الإسلامي، فبها تصلح أحوال المسلمين العامة والخاصة، وإذا فقدت وأهملت انتشر الفساد في البر والبحر، وعمّت الفوضى، واضطرب حبل الأمن والأمان، ودب الضعف في بنية الأمة وكيانها[١].

ويُعد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، المبدأ الحارس الأمين للأمة، من حيث إنه يحفظ دينها، وشريعتها من أي محاولات للنيل، أو التشكيك، أو الاعتداء عليها، فهو القطب الأعظم في الدين، وهو الواجب الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطه، وأُهمل عمله وعلمه، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، ونُسيت الصلاة، وشاعت الجهالة، وانتشر الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، وإن لم يشعروا بالهلاك إلى يوم التناد...[٢].

الأمر في اللغة: الأمر نقيض النهي، نقول: يأمره أمراً فأتمر، أي قبل أمره، وأمرته بكذا أمراً، والجمع الأوامر[٣].

الأمر اصطلاحاً: لا يخرج مفهوم الأمر اصطلاحاً عن مفهومه اللغوي وإن كان علماء الأصول قد توسعوا في دلالات صيغ الأمر، وقد أثبتوا من هذه الدلالات طلب الفعل على سبيل الاستعلاء[٤].

المعروف لغة: هو ما يستحسن من الأفعال وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وهو حسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس[٥].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- محمد أبو فارس ص٢٩.

(٢) إحياء علوم الدين- الغزالي ج٢ ص٣٠٦.

(٣) لسان العرب- ابن منظور ج١ ص٢٠٣.

(٤) المستصفى- الغزالي ص٢٠٢، التعاريف- المناوي ص٩٢.

(٥) لسان العرب- ابن منظور ج٩ ص١٥٦.

والأمر بالمعروف في اصطلاح الفقهاء: هو الأمر باتباع محمد ﷺ ودينه الذي جاء به من عند الله، وأصل المعروف: كل ما كان معروفاً فعله جميلاً غير مستقبح عند أهل الإيمان، ولا يستنكرون فعله(١).

ويقول ابن الأثير: المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع من المحسنات، ونهى عنه من المقبحات، وهو من الصفات الغالبة أي معروف بين الناس، إذا رأوه لا ينكرونه(٢).

والمنكر لغة: الأمر القبيح. النهي، نقول : يأمره أمرا فأتمر، أي قبل أمره وأمرته بكذب أمراً، والجمع الأوامر.

النهي لغة: النهي خلاف الأمر، نهاه ينهاه نهيا فانتهى وتناهى: كف، وتناهوا عن المنكر نهى بعضهم بعضاً(٣).

النهي اصطلاحاً: هو القول المقتضى ترك الفعل(٤).

ثانياً: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الغاية التى بعث الله تعالى الأنبياء من أجلها وهي الدعوة والتبليغ والهداية والإصلاح والتغيير... وهو حصن الإسلام الحصين، والدرع الواقي من الشرور والفتن، والسياج من المعاصي والمحن، يحمي أهل الإسلام من نزوات الشياطين ودعوات المبطلين.

٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتميز به السنة من البدعة، وعُرف الحلال من الحرام، وأدرك الناس الواجب والمسنون، والمباح والمكروه، ونشأت الناشئة على المعروف وألفته، وابتعدت عن المنكر واشمأزت منه(٥).

٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحمي المجتمع المسلم من الآثار التدميرية للمعاصي سواء على الفرد أو المجتمع أو الأمة.

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ج٦ ص٢٤٧.

(٢) النهاية لابن الأثير ج٣ ص٤٤٢.

(٣) لسان العرب ج١٤ ص٣١٢.

(٤) المستصفى- الغزالي ص٢٠٢، التعاريف- المناوي ج١ ص٧١٤.

(٥) توجيهات وذكرى- صالح عبد الله حميد ص٨١-٨٣.

المطلب الثاني

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد اكتسبت هذه الأمة خيريتها واستحقت أن تكون رائدة الأمم والشعوب من أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١١٠).

لذلك اتفق الفقهاء على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واعتبروه من الواجبات الشرعية العظمى التي لا يجوز التهاون في القيام بها، وقد ذكر ذلك جمع من العلماء[1].

وقد استدل العلماء بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، أورد فيما يلي بعضها باختصار:

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

١. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٠٤).

يمكن الاستفادة من هذه الآية من وجهين: **الأول:** في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن ﴾فهذا أمر، وظاهر الأمر للوجوب، أما الوجه **الثاني:** فهو في قولهتعالى: ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ففيه حصر الفلاح بمن يقوم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر [2].

٢. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٦٥).

---

(١) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن- الثعالبي- ج١ ص٤٧٩، شرح النووي على صحيح مسلم- النووي ج٢ ص٢٢، التاج والإكليل- العبدري ج٣ ص٣٩٦، مغني المحتاج- الشربيني ج٤ ص٢٧٩.

(٢) انظر: أحكام القرآن- الجصاص ج٢ ص٣١٥، إحياء علوم الدين- الغزالي ج٢ ص٣٠٧.

فقد رتب الله ﷻ استحقاق النجاة على النهي عن السوء، فدل على وجوب النهي عن المنكر[١]، ويدخل فيه الأمر بالمعروف.

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

١. روى أبو سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**"[٢].

يستدل بهذا الحديث على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من وجهين:

الأول: أنه يبين درجات إنكار المنكر، وهذا البيان توضيحٌ لآلية التنفيذ[٣].

الثاني: في قوله ﷺ: "**فليغيره**" وهو أمر، والأمر يدل على الوجوب[٤].

٢. روى عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون... فمن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن...**"[٥].

إن هذا الحديث نص في جهاد المبطلين باليد واللسان والقلب[٦]، وقد مدحهم بوصف "حواريين"، لشرف ما يقومون به، فهو عمل راق؛ لأنه ينبو بالأمة عن الفساد.

---

(١) إحياء علوم الدين- الغزالي ج٢ ص٣٠٧.

(٢) سبق تخريجه ص٧٨.

(٣) أحكام القرآن- الجصاص ج٢ ص٣١٦.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم- النووي ج٢ ص٢٢.

(٥) صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ص٥١-٥٢.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم- النووي ج٢ ص٢٧ ح٨٠.

المطلب الثالث

المراتب الأساسية للتغيير

يرى جمهور العلماء أن المراتب الأساسية للتغيير هي ثلاثة مستنبطة من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**"(١).

إن الله خلق الإنسان وأمده بثلاث مراتب يستطيع بها تغيير نفسه وتغيير من حوله، وهذه المراتب الثلاثة هي القلب واللسان واليد، بل إن المسلم مأمور بأن يأخذ بواحدة من هذه المراتب من أجل تغيير ما هو منكر شرعاً، ولكل مرتبة من هذه المراتب قواعد تحكمها.

أولاً: التغيير باليد:

إن التغيير باليد من أعلى مراتب الإيمان في باب التغيير، ولهذه المرتبة قواعد تحكمها وفقه يضبطها من الأخطاء، ومن فقه هذه المرتبة ما يلي:

القدرة شرط في تحقيق هذه المرتبة:

إن وجه اشتراط القدرة في هذا المقام واضح، إذ القدرة شرط عام في التكاليف الشرعية كافة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٨٦)، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ **فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** ﴾ (سورة التغابن الآية ١٦)، وقوله ﷺ: "**فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**"(٢)، وقد سبق قوله ﷺ أنه قال: "**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**"(٣).

فالتدرج من التغيير باليد إلى التغيير باللسان عند العجز عن التغيير باليد ثم إلى التغيير بالقلب عند العجز عن كليهما، يدل على اعتبار القدرة في هذه الفريضة بالنسبة إلى مرتبتيها الأولى والثانية، بحيث يمكن أن يسقط التكاليف بهما عند العجز عنهما، بخلاف المرتبة الثالثة التي لا تسقط التكليف بها لعدم تصور العجز عنها(٤).

---

(١) صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ص٥١.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الاعتصام- باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ج٩ ص٩٤.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق- صلاح الصاوي ص٢٠.

قال الجصاص: (فأخبر النبي ﷺ أن إنكار المنكر على هذه الوجوه الثلاثة على حسب الإمكان ودل على أنه إذا لم يستطع تغييره بيديه فعليه تغييره بلسانه ثم إذا لم يمكنه ذلك فليس عليه أكثر من إنكاره بقلبه)[1].

انتقاص القدرة بالخوف من الأذى:

إن القدرة لا تنتقص بالعجز الحسي فحسب بل تنتقص بالخوف من المكاره التي تلحق المحتسب في بدنه وماله أو تلحق أحداً من أقاربه؛ لأن الإنسان قد يسامح في حق نفسه وليس له أن يسامح في حقوق الآخرين، اللهم إلا إذا كان الأذى خفيفا بنحو سب أو شتم وغيرهما، فإنه يوازن بين درجات المنكر في تفاحشها ودرجات السب والشتم في نكايته في القلب، وقدحه في العرض ويختار دفع أكبر المفسدتين، وتحقيق أكمل المصلحتين أما مجرد اللوم فإنه لا يصلح عذراً في ترك الإنكار.

قال ابن رجب رحمه الله: (من خشي في الإقدام في الإنكار على الملوك أن يؤذي أهله أو جيرانه لم ينبغ التعرض لهم حينئذ، لما فيه من تعدي الأذى لغيره، ومع هذا متى خاف منهم على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال، أو نحو ذلك من الأذى سقط أمرهم ونهيهم، وقد نص الأئمة على ذلك، منهم أحمد ومالك وغيرهم، قال أحمد: لا يتعرض إلى السلطان فإن سيفه مسلول)[2].

وقال الغزالي: (وأما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه؛ لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره.

فإذاً ينبغي أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء للمسلم أيضاً وليس له ذلك إلا برضاهم فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطته فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه

---

(١) أحكام القرآن- الجصاص ج٢ ص٣١٦.

(٢) جامع العلوم والحكم ص٢٨٢.

فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور، كما أن السكوت على المنكر محذور، نعم إن كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض)[1].

وجوب التغيير باليد بغلبة المصلحة:

إن المقصود بوجوب التغيير باليد بغلبة المصلحة ألا يفضي الأمر أو النهي على مفسدة أعظم هي أسخط من مفسدة إضاعة هذا المعروف أو التلبس بهذا المنكر، وذلك لما تمهد في الأصول من أن مبنى الشريعة تحقيق أكمل المصلحتين ودفع أعظم المفسدتين عند التعارض، وقد نهي النبي ﷺ عن قتل عبد الله بن أبي بن سلول حتى لا يتحدث الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه، ونهيه عن سب آلهة المشركين حتى لا يسبوا الله ﷻ عدوا بغير علم، وامتناعه في إعادة بناء البيت على قواعد إبراهيم عليه السلام؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بالجاهلية.

قال ابن القيم: (أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره وان كان الله يبغضه ويمقت أهله. وقال: ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم عليه السلام، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له إنما حرم الله الخمر؛ لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس، وأخذ الأموال فدعهم)[2].

ومن ذلك يتبين للمتبصر أن درء المفاسد الكبرى أولى من درء المفاسد الصغرى.

---

(١) إحياء علوم الدين ج٢ ص٣٥١.

(٢) إعلام الموقعين ج٣ ص١٥-١٦.

مفسدة تعرض المحتسب لما لا يطيقه من البلاء:

إن من المفاسد المعارضة لمصلحة الاحتساب مفسدة تعرض المحتسب لما لا يطيقه من البلاء، وعلى هذا فلا يخلو حال المتلبس بالمنكر من أن يكون ضعيفاً لا طاقة له بدفع المحتسب وتحريك الفتنة بالمقاتلة معه، أو أن يكون قويا قادرا على ذلك، سواء أكانت قوته من تلقاء نفسه أو بالاستعانة بغيره ممن يغضب له ويدفع عنه.

فإن كان المتلبس بالمنكر ضعيفاً، فلا منازعة في وجوب الاحتساب عليه وحسم منكره بما ينحسم به، ما لم يؤد ذلك إلى منكر أكبر، وإن هذا مما يحبه الله ورسوله، وأما إن كان قوياً والاحتساب عليه يؤدي إلى التقابل وتحريك الفتنة بالمقاتلة، فيجب الكف عن الاحتساب في هذه الحالة وربط الأمر بالسلطة العامة، لما يؤدي إليه الاحتساب في هذه الحالة من التقابل الذي هو أنكر من كل منكر وأعظم من كل مفسدة(١).

قال ابن العربي معقباً على حديث تغيير المنكر بقوله: (وإنما يبدأ باللسان والبيان، فإن لم يكن فباليد، يعني أن يحول بين المنكر وبين متعاطيه بنزعه وبجذبه منه، فإن لم يقدر إلا بمقاتلة وسلاح فليتركه، وذلك إنما هو إلى السلطان؛ لأن شهر السلاح بين الناس قد يكون مخرجا إلى الفتنة، وآيلا إلى فساد أكثر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أن يقوى المنكر؛ مثل أن يرى عدوا يقتل عدوا فينزعه عنه ولا يستطيع ألا يدفعه، ويتحقق أنه لو تركه قتله، وهو قادر على نزعه ولا يسلمه بحال، وليخرج السلاح)(٢).

وعلى هذا الأساس يكون حساب القدرة فهي ليست القدرة الوقتية على مباغتة هذا المنكر وإزالته بصورة خاطفة، تعقبها إعادته من قبل الطغاة أتم ما يكون، والزج بهؤلاء المنكرين في غيابات السجون، يفتنون في دينهم ويقهرون وإنما هي القدرة على مواجهة من يدعمونه ويبذلون له الحماية والمنعة، ويستنفرون في سبيل ذلك كل ما يملكون من عتاد وعدة(٣).

---

(١) انظر: منهجية التغيير ص٢٧.

(٢) أحكام القرآن- ابن العربي ج١ ص٢٩٣.

(٣) انظر: منهجية التغيير ص٢٨.

منهجيات التغيير والإصلاح في تغيير الواقع وهي كالتالي:

١. أن لا يتجاوز الأذى الذي يلحق القائم بالتغيير من الحبس والجلد أو أخذ الأموال ومصادرتها ونحوه، وفي هذه الحالة نكون أمام رخصة وعزيمة، فمن صبر واحتسب في الله كان له ثواب المجاهدين الصابرين، ومن ترخص وسعه ذلك ولا تثريب عليه.

٢. إن امتد الأذى إلى أحد من أهله أو جيرانه لم يجز له التغيير؛ لأنه إن جاز له أن يسامح في حق نفسه فليس له أن يسامح في حقوق الآخرين إلا إذا كان الأذى خفيفاً لا يتجاوز اللوم والسب، فإنه يقارن بينه وبين المنكر الذي يترتب عليه فيدفع شر الشرين[١].

لقد كان الناس قبل الإسلام يستولون على الحكم بالقوة وبالجاه وكذلك الحال في الوقت الحاضر حيث كثير من الحكام ينتهجون نفس النهج، فجاء أسلوب القرآن المعجز ليوجه ويغير ويصلح ظاهرة الوصول إلى الحكم.

ولو نظرنا إلى واقعنا المعاصر اليوم لوجدنا أن بعض الذين أخذوا على عاتقهم التغيير باليد دون القوة والسلطان، فقاموا ببعض الأعمال من تفجير وتدمير لبعض محلات المنكر، وقاموا بخطف بعض المستأمنين وقتلهم، ومحاربة رجال الأمن وهي تكبح جماحهم، وتحد من عدوانهم، فكم شقيت أسرهم وأهلهم بما فعل أبناءهم دون اعتبار للمآل وتدبر العواقب، فيجب الانتباه إلى شرعية العمل في ذاته من ناحية، وحرصاً على مصلحة الدعوة من ناحية أخرى.

الوصول إلى سدة الحكم من أجل التغيير:

إن التغيير باليد يعتمد القوة، والسعي بدونها يفضي إلى التقاتل وإراقة الدماء، لذلك فالتوجه إلى طلب القوة وتحصيل أسبابها يصبح من الواجبات المحتومة وفقاً لقاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والوصول إلى سدة الحكم من آكد مظاهر القوة ومن أبين أسبابها فإنه يتعين الوصول إلى سدة الحكم تحقيقاً للتغيير المنشود بعيداً عن التقاتل وإراقة الدماء ومن هنا يبرز دور العمل السياسي ومشروعيته في طريق التغيير والإصلاح في ظل الأنظمة العلمانية المعاصرة، رغم أنه موضع جدال في أوساط العاملين بالعمل الإسلامي، فمنهم من غالى في رفض هذا العمل واعتبره ناقضاً لأصل الدين، والآخرون عولوا عليه بحيث لا يرى بديلاً منه للتغيير والإصلاح في الواقع المعاصر، أما أهل التوسط والقصد يرون أن الوصول إلى سدة

---

(١) منهجية التغيير ص٢٩-٣٠.

الحكم يعتبر أسلوباً من أساليب التغيير والإصلاح، مقررين شرعيته في إطار الموازنة بين المصالح المستجلبة، والمفاسد المتوقعة، رغم أن الفتوى في ذلك تختلف زماناً ومكاناً[١].

أما بالنسبة لما قد يرد ذلك من الأدلة التي تنهى عن طلب الإمارة، فالجمهور على طلب الولاية مكروه في الأصل وأن اجتنابها هو الحزم، وأن ما فيها من المغارم أضعاف المغانم، وهذه بعض الأحاديث لتوضيح المعنى:

١. ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: قال: "**إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة**"[٢].

٢. ما رواه البخاري عن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ:"**يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها**"[٣].

قال ابن حجر: (ومعنى الحديث أن من طلب الإمارة فأعطيها، تركت إعانته عليها من أجل حرصه، ويستفاد منه أن طلب ما يتعلق بالحكم مكروه فيدخل في الإمارة القضاء والحسبة ونحو ذلك وأن من حرص على ذلك لا يعان)[٤].

إن هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائفها، وأما الخزي والندامة لمن لم يكن أهلا لها، أو كان أهلاً ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه، ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلاً للولاية، وعدل فيها، فله فضل عظيم، وإجماع المسلمين منعقد عليه، ومع هذا فلكثرة الخطر فيها حذره ﷺ منها، وكذا حذر العلماء، وامتنع منها خلائق من السلف، وصبروا على الأذى حين امتنعوا[٥].

ولقد أورد الدكتور صلاح الصاوي في منهجية التغيير استثناءات للأصل العام أذكر منها:

---

(١) انظر: منهجية التغيير ص٣٩.

(٢) صحيح البخاري- كتاب الأحكام- باب ما يكره من الحرص على الإمارة ج٩ ص٦٣ ح٧١٤٨.

(٣) صحيح البخاري- كتاب الأحكام- باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها ج٩ ص٦٣ ح ٦٦٢٢.

(٤) فتح الباري ج١٣ ص١٢٤.

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ج١٢ ص٢١١.

الاستثناء الأول: استثناء من تتعين عليه الإمارة، كمن يقوم بالأمر عند خشية الضياع، وأنه يكون كمن أعطى بغير حرص، بل قد يغتفر له الحرص في هذه الحالة لكونه يصير واجباً عليه، ويستدل على ذلك بقصة يوسف عليه السلام في طلبه الولاية من عزيز مصر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ (سورة يوسف الآية ٥٥).

قال القرطبي: ودلت الآية أيضاً على جواز أن يطلب الإنسان عملاً يكون له أهلاً.

٣. فإن قيل: فقد رواه البخاري عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:"**يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها**"(١)، وغيره من الأحاديث.

فالجواب:

أولاً: أن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم فرأى أن ذلك فرض متعين عليه فإنه لم يكن هناك غيره وهكذا الحكم اليوم لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك.

ثانياً: أنه رأى ذلك فرضاً متعيناً عليه لأنه لم يكن هنالك غيره وهو الأظهر(٢).

ولهذا الاستثناء يخرج كل من يسعى لطلب الولاية في ظل إطار علماني لإقامة الدين وتحكيم الشريعة، بل لا شك أن طلبها في هذه الحالة جهاد متعين(٣).

الاستثناء الثاني: إن المتأمل في هذه الأحاديث يستطيع أن يقيد المنع الوارد فيها بمن طلب ذلك لمصلحة نفسه أما من طلبها لمصلحة الدين وتحقيق الأصلح للمسلمين مع كونه أهلاً لها وقاصداً إلى إقامة الحق والعدل فهو خارج عن دائرة هذه النصوص، ومورد النزاع هو فيمن يحرصون على طلب الإمارة إقامة لما افترضه الله عليهم من النصيحة للأمة أو سعيها إلى التغيير والإصلاح المشروع.

---

(١) سبق تخريجه ١٠٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ج٩ ص٢١٥-٢١٧.

(٣) انظر: منهجية التغيير ص٣٩.

وفي هذا الإطار يمكن فهم الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية: (وليس طلب الإمامة مكروهاً، فقد تنازع فيها أهل الشورى فما رد عنها طالب ولا منع منها راغب، واختلف الفقهاء فيما يقطع به تنازعهما مع تكافؤ أحوالهما، فقالت طائفة: يقرع بينهما ويقدم من قرع منهما)[1].

ثانياً: التغيير باللسان:

إن التغيير باللسان يكون ببذل النصيحة الواجبة على شرائطها الشرعية، فقد يكون المتلبس بهذه المنكرات جاهلاً بحكم ما تلبس به من غلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة، وهذا يختلف بطبيعة الحال من بلد إلى آخر، كما هو من شخص إلى آخر.

وإن كان التغيير باللسان موكل إلى العلماء لما لهم من وراثة النبوة وأخذ عليهم من المواثيق بالبلاغ وعدم الكتمان، والعامة عليها كفلاً من المسؤولية، وذلك في إطار المعلوم من الدين بالضرورة، فقال ﷺ: "**ليبلغ الشاهد الغائب**"[2]، ولم يقيد البلاغ ببلوغ الغاية في العلم، ولا يخفى أن الصحابة كان فيهم العلماء وغيرهم.

إن منهجيات التغيير والإصلاح ترتكز على العمل الدعوي والتربوي الذي هو أول الطريق إلى التغيير والإصلاح، فالدعوة إلى الله وتزكية النفوس هما الركيزة الأساسية في دعوة الرسل، وهما مفتاح التغيير في كل تجمع بشري يراد إخراجه من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده...، والدعوة إلى الله والتربية على الإسلام ليست عملاً حزبياً تنادى به جماعة دون جماعة، بل هو الروح التي تسري في كل الكيانات، والقاسم المشترك بينها جميعاً[3].

فالله ﷻ جعل لوسيلة التغيير باللسان المكانة العالية لدورها في تجنيد طاقات أفراد المجتمع المسلم للخير، وندبهم أن يكونوا جزءاً من عملية التغيير والإصلاح، وعوناً لمن بيدهم القرار ويملكون سلطان التغيير باليد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة يس الآية ٢٠) فكأنه جعل لكل صاحب فكر وقضية ولكل مقدم لمقترح أو نصيحة ولكل طالب حاجة أو مظلمة وسيلته السلمية المعتبرة لإيصال ما يريده بلسانه.

---

(١) الأحكام السلطانية- الماوردي ص٧.

(٢) صحيح البخاري- كتاب العلم- باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع ج١ ص٢٤.

(٣) انظر: منهجية التغيير- صلاح الصاوي ص٤٣-٤٥.

وعندما يُحرَم أصحاب سلطان التغيير باليد من سماع أصوات أصحاب الفكر ومقدمي النصح وطالبي الحاجات وأرباب المظالم، يخلو الجو للفساد ليطل برأسه، وعندما يُمارس القمع على هذه الأصوات الحرة تفتح الأبواب لأصحاب المصالح الشخصية وتسخر للمنابر التي تخدم النفوذ والأموال كل الوسائل الإعلامية، وبذلك يُضرب حول صانعي القرار بسور فلا يصل إليهم ولا إلى مسامعهم وأبصارهم إلا ما يخدم مجموعة من المرتزقة، فتنمو بطانة طفيلية فاسدة حول كل صانع قرار... تكبر كلما تعظم ولايته فتعظم بذلك مصيبته.

ونرى ذلك رأي عين في كثير من الأنظمة المستبدة التي يتم فيها إخراس كل صوت مخالف ومعارض، تتميز هذه الأنظمة بتزييف الكلمات وصناعة الأخبار لا نقلها، فلا يُسمع عندها صوت الشعب، فتستمر المظالم وتضيع الحقوق ويستشري الفساد، ولا تصحو إلا وقد بدأ الغليان فإذا ما وصل إلى نقطة الانفجار سيدفع المجتمع بأسره تبعات ذلك، تبعات تعطيل واحدة من أهم وسائل إصلاح المجتمعات ألا وهي التغيير باللسان.

ثالثاً: التغيير بالقلب:

إن التغيير بالقلب من أضعف مراتب الإيمان، مع أنها تسبق كل مرتبة من المرتبتين السابقتين في ابتداء إنكار المنكر، فمن أراد أن ينكر المنكر بيده أو بلسانه فلا بد أنه قد أنكره بقلبه أولاً، وعلى الرغم من تراجع منزلة التغيير بالقلب على سلم الإيمان إلا أنها تتيح للأمة إذا أقامتها على وجهها أن تزلزل الأرض من تحت أقدام الطغاة والمفسدين، ليأتي يوم ينظرون فيهمن حولهم فلا يجدوا مداً ينصرهم أو يؤيدهم.

إن هذه المرتبة تعني اعتزال الباطل الذي عجزت عن تغييره وعدم مشايعة أصحابه بقول أو عمل، ولقد فصّل أهل العلم القول في ذلك حتى ذهب بعضهم إلى عدم السير في ما عبدوه من الطرقات وذلك من التفصيلات الدقيقة التى تؤكد مبدأ الاعتزال وعدم المشايعة بالقول أو بالعمل.

إننا نرى في واقعنا المعاصر كيف تحدث المقاطعات الاقتصادية، على سبيل المثال من الآثار المدمرة على الدول التي تفرض عليها مثل هذه العقوبة، وكيف تحملها على الركوع أمام خصومها مهما أوتيت من قوة ومن جبروت!، ومن ناحية أخرى فإن هذه المرتبة لا يعتذر عنها ولا يترخص فيها، ذلك أن حب القلب وبغضه لا سلطان عليه لأحد من الناس، ولا ترد عليه

عوارض الإكراه، ولذلك فيجب أن يبقى كاملاً جازماً؛ لأنه لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان[1].

قال ابن تيمية: (وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان المعروف وبغضه للمنكر؛ وإرادته لهذا؛ وكراهته لهذا: موافقة لحب الله وبغضه وإرادته وكراهته الشرعيين، وأن يكون فعله للمحبوب ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته: فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ (سورة التغابن الآية ١٦)، فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة؛ لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان، وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته: فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل)[2].

إن الآيات التي تحدث عن التغيير والإصلاح جاءت لتعلم كل الطغاة والمتجبرين، ومن وليَّ أمراً من أمور المسلمين أن يقفوا أمام أنفسهم وأن يحاسبوها قبل أن تحاسبهم شعوبهم ورعيتهم التي استرعاهم الله عليها قبل أن تلقي بهم شعوبهم في غيابات الجب ومهالك التاريخ، فعليهم أن ينهجوا منهج الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ؛ لأنها مفتاح الحل وحبل النجاة.

إننا نعيش اليوم صحوة عارمة من التغيير والإصلاح هي خير شاهد على ما سبق وهي خير دليل على أن الشعوب أبقى من حكامها.

---

(١) منهجية التغيير- صلاح الصاوي ص٤٥-٤٦.

(٢) مجموع الفتاوى- ابن تيمية ج٢٨ ص١٣١.

المبحث الثاني

الـشـورى

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم الشورى وأهميتها

.المطلب الثاني: حـكـم الـشـورى وفـوائـدهـا

المطلب الثالث: منهجية التغيير والإصلاح في الشورى

المطلب الأول

مفهوم الشورى وأهميتها

إن الشورى مضمون تعاوني تكاملي في العمل على الوصول إلى المصالح المجردة، أو تحصيل أعلى المصلحتين بتفويت أدناهما، وكذلك بدفع المفاسد الخالصة، أو بدفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، والشورى من الأمور المشتركة التي مارستها كثير من الأمم على نحو ما؛ فهي من هذه الوجهة تعد من التراث الإنساني المشترك، ومما تميزت به شريعة الإسلام(١).

أولاً: الشورى في اللغة:

الشُّورَى: المشورة، والمشاورة: استخراج الرأي، يقال: شَاوَرْتُهُ في الأمر، استشرته، وطلبت منه المشورة(٢).

والشُّورَة، والشَّارة: الحُسن والهيئة، يقال: شَارَ الرجل، إذا حسن وجهه(٣)، وشَارَ العسل: استخرجه واجتناه من مواضعه، وشَارَ الدابة: عرضها للبيع(٤)، كأنه من الشَّور، وهو عرض الشيء وإظهاره(٥).

ثانياً: الشورى في الاصطلام:

قال الراغب الأصفهاني: "هي استخراج الرأي، بمراجعة البعض إلى البعض"(٦)، ويقول ابن العربي: "هي الاجتماع على الأمر، ليستشير كل واحد منهم صاحبه، ويستخرج ما عنده"(٧).

وقال الطاهر ابن عاشور: "هي أن قاصد عمل يطلب ممن يظن فيه صواب الرأي والتدبير، أن يشير عليه بما يراه في حصول الفائدة المرجوة من عمله"(٨).

---

(١) حقيقة الشورى بين الاتباع والادعاء- محمد بن شاكر الشريف، مجلة البيان عدد ٢١٧.

(٢) لسان العرب- ابن منظور ج٤ ص٤٣٧، مختار الصحاح- الرازي ج١ ص١٤٧.

(٣) لسان العرب- ابن منظور ج٦ ص٣١٠.

(٤) لسان العرب- ابن منظور ج٢ ص٤٣٤-٤٣٥.

(٥) انظر: لنهاية في غريب الحديث والأثير- ابن الأثير ج٢ ص٥٠٨، لسان العرب- ابن منظور ج٤ ص٤٣٤.

(٦) المفردات في غريب القرآن- الأصفهاني ص٢٧٣.

(٧) أحكام القرآن- ابن العربي ج١ ص٢٩٧.

(٨) التحرير والتنوير- ابن عاشور ج٢٥ ص١١٢.

وعرفها الدكتور الأنصاري من المعاصرين بقوله: "هي استطلاع رأي الأمة، أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها"[١].

خلاصة التعاريف تتفق على معنى واحد للشورى، فتفيد أنها قائمة على تبادل الآراء؛ للتوصل إلى الرأي الأصوب.

ثالثاً: أهمية الشورى في حياة الأمة:

١. تعد الشورى ركيزة أساسية في بناء الدولة الإسلامية، بل هي من أُسس الحكم في الإسلام، ومن أبرز خصائصه؛ فالشورى تحتل مكان الصدارة في عداد المبادئ التي جاء بها الإسلام، وأرسى دعائم دولته[٢].

٢. ولأهمية الشورى في حياة الأمة، سمّى الله تعالى سورة في القرآن الكريم باسم الشورى، ومدح أهل الشورى في معرض حديثه عن فرائض كلية في الإسلام؛ ليدلل على عظيم شأنها ومكانتها، فالأمة تعيش على وجه الأرض بالخيرية من السعادة في تطبيقها.

٣. والشورى في الأمة مبدأ أصيل، وصفة لازمة، بدونها تفقد الأمة صلاحها كما لو تركت الصلاة أو الصيام[٣]، حيث ترتكز عليها كل دولة راقية تنشد لرعاياها الأمن والاستقرار، والفلاح والنجاح؛ ذلك لأنها الطريق السليم التي يتوصل بها إلى إجراء الآراء والحلول، لتحقيق مصالح الأفراد، والجماعات، والدول[٤].

٤. وما تمسك المسلمون بالكتاب والسنة، فإنهم لن يضلوا بقرار يصدرونه بالشورى، ولا يجمعون على باطل، وتلك العصمة النسبية من الباطل لنتيجة الشورى العامة، تؤكد جليل شأنها في الحياة الإسلامية، والسياسية[٥].

---

(١) الشورى وأثرها في الديمقراطية- الأنصاري ص٤.

(٢) انظر: النظام السياسي في الإسلام- محمد أبو فارس ص٩٧، خصائص التشريع الإسلامي- الدريني ص٤١٩، الحريات العامة في الدولة الإسلامية- الغنوشي ص ١٠٨، نظام الإسلام والحكم والدولة- المبارك ص٣٤.

(٣) انظر: الطريق إلى جماعة المسلمين- جابر ص٦٤، دروس في العمل الإسلامي- حوى ص٥٢.

(٤) النظام السياسي في الإسلام محمد أبو فارس ص٨٠.

(٥) الشورى في ضوء القرآن والسنة- حسن عتر ص٣٥- ٣٧.

المطلب الثاني

حكم الشورى وفوائدها

أولاً: حكم الشورى:

اختلف العلماء في حكم الشورى على مذهبين، وفيما يلي ذكر لأقوالهم:

القول الأول: الشورى واجبة(١)، فهي ليست من الأمور التنفلية، التي تُترك لرغبة الحاكم، إن شاء استشار، وإن شاء ترك، وهذا يشمل كل حاكم أو مسئول أو أمير(٢)، وهي إحدى الدعائم الرئيسية التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام(٣).

وقد استدلوا على قولهم بوجوب الشورى بأدلة من القرآن، والسنة.

أولاً: القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

دل الفعل (شَاوِرْ) على الوجوب، فظاهر الأمر للوجوب(٤). فالله ﷻ يأمر رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه ﷺ فيما لم يأتِ به وحي من أمور الحياة العامة، والأمر للرسول ﷺ أمر لأمته من بعده؛ إذ أُمرنا بالاقتداء به، بل هي في حقنا أولى بانقطاع الوحي المُوحى به إلى الرسول ﷺ.

ثانياً: من السنة النبوية الشريفة:

قال أبو هريرة ﷺ: "**ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ**"(٥).

---

(١) انظر: أحكام القرآن- الجصاص ج٢ ص٣٣٠، التفسير الكبير- الفخر الرازي ج٩ص٦٧، الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ج٤ ص٢٤٩.

(٢) النظام السياسي في الإسلام- محمد أبو فارس ص٨٩.

(٣) الخلافة الإسلامية- صادق نعمان ص٧٧.

(٤) التفسير الكبير- الفخر الرازي ج٩ ص٦٧.

(٥) مسند الإمام أحمد ج٣١ ص٢٤٤ ح١٨٩٢٨، قال الألباني ضعيف.

عندما يخبر أبو هريرة ﷺ عن مشاهدته لكثرة القضايا التي كان يستشير الرسول ﷺ فيها أصحابه ﷺ يكون دليلاً على أن ذلك منهج وطريقة متبعة في كل أمر هام، وإلا لما كثر ذلك، ويتوقع أنه فعل ذلك في غياب أبي هريرة ﷺ كذلك.

فإذا كان ذلك في حضرته فيحدث في غيابه؛ لتكراره أمامه.

القول الثاني: إن حكم الشورى الندب[1]، وقد واستدلوا على ذلك بالكتاب والمعقول.

أولاً: القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

إن سياق الآية يُستوحى منه أن الأمر للندب[2]، حيث إن المعنى هو حتى تُبدي لهم اللين، وتُرغبهم في سماع كلامك، شاورهم تقديراً لهم بدليل الأمر بالعفو والاستغفار.

ثانياً: المعقول:

إن الرسول ﷺ في غنى عن رأيهم لعصمته من جهة التبليغ والتطبيق والمعصية، فعلم من ذلك أن قيام الرسول ﷺ بالشورى في عدة أمور يُعد إرشاداً لأمته لأمرٍ مندوب، يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه.

وأنا أميل إلى القول الأول القاضي بوجوب الشورى وإلزاميتها؛ لما يلي:

إن في الشورى كشفاً عن مكامن الخير والمصالح والمنافع، والعقل البشري قاصر ضعيف يحتاج لتقويته، وطريق ذلك إشراك عقول أخرى مفكرة، فكل واحد يُدلي بما لديه من معرفة عن قضية معينة بعد دراستها، والنظر إلى جوانبها، ومآلات تنفيذها، أو عدم ذلك، وكل ذلك نابع من الفكر العظيم الذي رسمه ﷺ من خلال مثل الجسد الواحد المتمثل في حياة المؤمنين، والجسد مكون من أعضاء وكل عضو يقوم بوظائف تساعده على الحركة.

---

(١) الأم- الشافعي ج٥ ص١٨، مجموع الفتاوى- ابن تيمية ج٢٨ ص٣٨٦، مغني المحتاج- الشربيني ج٤ ص٣٩١.

(٢) نظام الحكم- ظافر القاسمي ص٦٦.

وعليه؛ فالشورى واجبة في القضايا الهامة؛ لما ثبت من الأدلة، ولتعدد مجالات الحياة وتطورها، فالواحد لا يستطيع الإلمام بمجموعها، وأمر المسلمين لا يخص واحداً دون الباقين؛ بل يهم كل فرد من الأفراد، فلا بد منها لتحقيق المصالح، والبعد عن المفاسد، وبذلك يتحقق الخير لجسد المؤمنين الواحد.

ثانياً: فوائد الشورى:

بعد بيان حكم الشورى، واعتبارها دعامة في حياة الأمة، يجدر بنا أن نتحدث عن فوائدها، ومن أهمها:

١. أن الشورى طريق إلى وحدة الأمة الإسلامية، ووحدة المشاعر الجماعية، من خلال عرض المشكلات العامة، وتبادل الرأي والحوار[١].

٢. الشورى خير وسيلة للكشف عن الكفاءات والقدرات، وتحقيق الأفراد لذاتهم، وما أوتوا من مواهب وملكات؛ كي تستفيد الدولة والأمة من كافة طاقات أبنائها، ولاسيما في شئون الحكم والسياسة[٢].

٣. أنها خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة، وتدريبها على تحمل التبعات، كما أنها تُعَوِّد الأفراد على العطاء، وعلى الانتماء لجماعتهم ووطنهم، وتحمل مسؤولياتهم تجاه هذه الجماعة[٣].

٤. تدرب الشورى المستشار على المساهمة في الحكم والإدارة، وتثريه بالتجربة وجودة الرأي والتفكير من خلال ممارسته للشورى[٤].

٥. إن ممارسة الشورى في كل جوانب الحياة يمثل للأمة المسلمة مدرسة تستطيع من خلالها تحقيق آراء قوية وسديدة توصلها إلى طريق النصر والتمكين، كما نال بها المسلمون الأوائل، الظفر والأمن.

---

(١) الشورى وأثرها في الديمقراطية- عبد الحميد الأنصاري ص٦.

(٢) انظر: النظام السياسي في الإسلام- محمد أبو فارس ص٨٦، خصائص التشريع الإسلامي- فتحي الدريني ص٤١٤

(٣) أسس الحكم في الشريعة الإسلامية- صالح السدلان ص١٦.

(٤) النظام السياسي في الإسلام- محمد أبو فارس ص٨٦.

٦. أن مزاولة الأمة الشورى علامة على استقلال شخصيتها، تجعلها تشعر أنها صاحبة الحق في تقرير مصيرها فتسعى إلى الاهتمام بشئونها العامة والخاصة في دينها ودنياها، وإدامة المحافظة على هذا الحق.

ولا بد لنا من أن نقر بحقيقة مسلمة بأن وراء كل أمر إلاهي أسراراً غيبية لا ندرك كنهها، وأن لنظام الشورى أسراراً غيبية انفرد بعلمها الخالق، وفوائد عظيمة وكبيرة في تغيير أحوال المسلمين وإصلاح شؤونهم، وإصلاح مجتمعاتهم، فالله تعالى لما أوحى إلى نبيه بتطبيق نظام الشورى كمبدأ أساس من مبادئ الشريعة الغراء واعتماده كنظام حياة، مع أنه يسير برعاية ربانية وتوجيهات إلاهية ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ (سورة النجم الآية ٣ :٤: ٥) إلا أنه أراد لنا أن نتخذ هذا المنهج دليلاً وطريقاً ومسلكاً نهتدي إليه ونقتدي به لتحديد واتخاذ القرارات المصيرية التي تواجه الحاكم المسلم ورعيته من أمة الإسلام.

المطلب الثالث

منهجية التغيير والإصلاح في الشورى

إن النظام السياسي السائد عند العرب في الجاهلية قائم على القهر والبطش والاستبداد، وكذلك في العصر الحديث هو قائم على قهر الشعوب واستعبادها، فيأتي أسلوب القرآن المعجز في الشورى ليوضح منهج التغيير والإصلاح في إبراز أهمية الشورى وفوائدها على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع، والقيادة والرعية، فالشورى حين تسود المجتمع الإسلامي تجعل الأفراد يشعرون بإنسانيتهم، إذ يحققون ذاتهم من خلال ممارستهم هذا الحق الذي حباهم الله إياه، فتبرز الكفاءات والقدرات المختلفة في المجتمع، ويتعرف الناس عليها، فيستفيد منها المجتمع، لوضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

ومن فضل الشورى أنها تكشف عن طبائع الرجال، فمتى طلبت اختيار رجل فشاوره في أمر من الأمور يظهر لك رأيه وفكره وعدله وجوره وخيره وشره فيه، وحينما تسود الشورى المجتمع الإسلامي فإن النفوس تتقارب، والقلوب تتآلف، والصفوف تلتحم، وتشيع المحبة والمودة

والرحمة، فيسهل إدراك ما قاله الرسول ﷺ: "**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"(١).

والشورى تقع في القمة بالنسبة للاهتمام بشئون المسلمين، وأي أهمية تفوق الشورى التى تشغل بسببها المسلم جل وقته ويقدم عصارة فكره من أجل جلب مصلحة للمسلمين أو دفع مفسدة عنهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ** ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

إن الإسلام احترم العقل أيما احترام وجعله مناط التكليف، ودعا صاحبه إلى التأمل والتدبر فيما يهمه من القضايا، والذين لا يستخدمون عقولهم، ويقلدون من سبقهم من الأجداد، توعدهم الله ﷻ بعذاب شديد يوم القيامة، لأنهم عطلوا عقولهم فلم يفكروا أو يتدبروا.

والشورى ذات الهدف النبيل، بمزاولتها تعني تكريم هذا العقل والعناية به، وترك الشورى تعطيل لدور العقل وهدر لطاقات الإنسان، وقتل لإبداعاته التي يستطيع أن يهتدي من خلالها.

---

(١) صحيح مسلم- كتاب البر والصلة – باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ص١٠٤١.

المبحث الثالث

العلم

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم العلم

.المطلب الثاني: حكم العلم

المطلب الثالث: منهجية التغيير والإصلاح في العلم

المطلب الأول

مفهوم العلم

إن العلم من أهم مقومات عملية التغيير والإصلاح؛ لأنه لا يمكن أن يُمكن الله أي أمة من الأمم في عملية التغيير والإصلاح وهي متخلفة عن ركب العلم، وهو من أفضل ما كسبته النفوس، وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة[١].

أولاً: العلم في اللغة: إن العلم عند العرب هو المعرفة، ويعرفه أهل اللغة بالمقابلة مع هذه، فيقولون: العلم: ضد الجهل[٢]، والعلم: إدراك الشيء بحقيقته[٣]، ويرى بعض العلماء أن لفظ (العلم) من الألفاظ الواضحة التي لا تحتاج إلى تعريف[٤].

ثانياً: العلم في الاصطلاح:

إن العلم هو المعرفة وهو ضد الجهل، وقال أهل العلم: إن العلم أوضح من أن يعرف، فالعلم الذي فيه الثناء والمدح هو علم الوحي، علم ما أنزله الله فقط، قال النبي ﷺ: "**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**"[٥]، ولم يقل: يحفظه؛ لأن الفقه هو: الفهم، والفهم ثمرة الحفظ، كما جاء في الحديث: "**رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ**"[٦]، قال الإمام النووي: (فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين والحث عليه وسببه أنه قائد إلى تقوى الله)[٧].

من المعلوم أن علم الشريعة هو العلم الذي ورثه الأنبياء عليهم السلام، وهم لم يورثوا للناس علم الصناعات وما يتعلق بها، ولا علم الدنيا وما يلحق به مما لم يكن له علاقة بالعلم الشرعي، وإن الأمر الوحيد الذي يطلب فيه المرء الزيادة هو العلم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ (سورة طه الآية ١١٤).

---

(١) الفوائد- ابن القيم ص١٢٨.

(٢) لسان العرب ج١٢ ص٤١٧

(٣) المفردات- الأصفهاني ص٣٤٣.

(٤) فتح الباري ج١ ص١٤١.

(٥) صحيح البخاري- كتاب العلم- باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ج١ ص٢٥ ح٧١.

(٦) مسند أحمد ج٣٥ ص ٤٦٧.

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم ج٧ ص١٢٨.

شهادة الله لأولي العلم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٨).

يقول ابن تيمية: إثبات شهادة أولو العلم يتضمن أن الشهادة له بالوحدانية يشهد بها لـــه غيره من المخلوقين، الملائكة والبشر، ويشهدون أن الله لا إله إلا هو وتتضمن ثلاثة أصول:

الأصل الأول: شهادة أن لا إله إلا الله، **والثاني** وأنه قائم بالقسط **والثالث** أنه العزيز الحكـــيم **(هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)** إثبات لعزته وحكمته فتضمنت وحدانيته المنافية للشـــرك، وتضـــمنت عدلـــه المنافي للظلم، وتضمنت عزمه وحكمته المنافية للذلة والسفه(١).

يقول ابن القيم الجوزية: (وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

احدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

الثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

الثالث: اقترانها بشهادة ملائكته.

الرابع: تزكية العلماء وتعديلهم، فإن الله لا يشهد إلا للعدول من خلقه.

الخامس: أنه وصفهم بكونهم أولي العلم، هذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهلـــه وأصـــحابه وليس بمستعارٍ لهم.

السادس: أنه سبحانه شهد بنفسه، وهو أجلُّ شاهدٍ، ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلمـــاء مـــن بعده، ويكفيهم بهذا فضلٌ وشرف.

السابع: أنه شهد بهم على أجل مشهودٍ وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا هـــو العظـــيم القدير وإنما يشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وسادتهم.

الثامن: أنه سبحانه وتعالى جعل شهادتهم حجةً على المنكرين؛ فُهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده.

التاسع: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه، ومن ملائكته، ومنهم ولـــم يعطف شهادتهم بفعل آخر على شهادته، وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته.

---

(١) مجموع فتاوى- ابن تيمية ج ١٤ ص ١٨٠-١٨٣.

العاشـــر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوهـــا فقـــد أدوا الحـــق المشهود وثبت الحق به، فوجب على الخلق الإقرار به)[1].

المطلب الثاني

حـكـم العـلـم

فالعلم إما أن يكون شرعياً، وهو المستفاد من الشرع، أو غير شرعي.

العلم الشرعي: وهو مطلوب من حيث الجملة، ويختلف حكمه باختلاف الحاجة إليه.

أ - **فمنه ما طَلَبُهُ فرض عين:** وهو تعلم المكلف ما لا يتأدى الواجب الذي تعين عليه فعلـــه إلا به، ككيفية الوضوء والصلاة ونحوها، ويجب من ذلك كله ما يتوقف أداء الواجب عليـــه، كمـــا يتعين على المرء أن يعلم أحكام ما تولى عمله، أو تحمل مسؤوليته، فمثلاً من أراد البيع يتعـــين عليه أن يتعلم أحكام ما يُقدم عليه من المبيعات، مما يحل أو يحرم من مـــأكولات ومشـــروبات وملبوسات، ونحوها مما لا غنى له عنه غالباً[2].

ب -**ومنه ما طَلَبُهُ فرض كفاية:** وهو تحصيل ما لا بد للناس منه في إقامة دينهم مـــن العلـــوم الشرعية، كحفظ القرآن والأحاديث، والأصول والفقه واللغة، وغيرها، والمراد بفرض الكفاية إذا قام بتحصيل ذلك الشيء بعض من المكلفين به سقط الحرج عن الباقين، وإذا قام به جمعٌ تحصل الكفاية ببعضهم، وكلهم سواء في حكم القيام بالفرض في الثواب وغيره، فتعلم علم الطـــب مـــن فروض الكفايات إذا قام به فئة كافية من المسلمين سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به أحدٌ منهم أثموا جميعاً[3].

الأدلة من القرآن: وهما دليلان:

١ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ســـورة الزمر الآية ٩).

إن العبادة الصحيحة والمستمرة والخالصة سبيلها العلم، وإلا لم يكن لإيراد العلم في هذا الموضع فائدة، وهذا محال، والعبادة واجبة عينية، فيكون العلم المؤدي إليها واجباً عينياً.

---

(١) مفتاح دار السعادة ج١ ص٢١٩.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ج٢٩ ص٧٧-٧٨.

(٣) المرجع السابق ج٢٩ ص٧٨.

٢ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(سورة التوبة الآية ١٢٢).

إن هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم[١]، فأما بحق الأفراد بأعيانهم فهو كفائي، بدليل الأمر بخروج نفر من كل طائفة؛ للفقه في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم؛ لعلهم يحذرون، فلم يوجب الخروج على الجميع.

الأدلة من السنة:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:"**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**"[٢].

فالعلم وسيلة رئيسية ليرتقي المرء إلى درجة عالية، وهي الخشية من الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾(سورة فاطر الآية ٢٨).

ومن خشي الله ﷻ يتحرى صواب المنهج، وأساسه الفكر الصحيح، ولا يكون ذلك إلا من خلال العلم؛ لأن العلم ينمي الفكر؛ لتناوله جوانب متعددة، ومعارف مختلفة، فيتمتع بالنظرة الشمولية ويحقق العلم؛ لأن من خشي الله ﷻ لا يقترف ما حرم الله تعالى لعلمه بخطورة ما يفعل وعاقبته.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ج٨ ص٢٩٣.

(٢) مسند أحمد ج١٤ ص٦٦ ح٨٣١٦.

المطلب الثالث

منهجية التغيير والإصلاح في العلم

إن سورة آل عمران أوضحت أهم المنهجيات في التغيير والإصلاح في بقاء حياة الأمم وصدارتها فإذا أرادت الأمة إعادة بناء وصياغة الحضارة الحديثة عليها أن تأخذ بأسباب العلم حتى تصبح في مقدمة القافلة بعد أن كانت في ذيلها.

إن التغيير والإصلاح الذي أحدثه رسول الله ﷺ ليس له نظير في التاريخ، لقد استطاع في ظرف وجيز أن يقتلع جذور أفكار وعادات كانت راسخة بقوة وأن يبني حضارة عظيمة وأن يصنع مدنية محل بداوة وجاهلية. وسبب ذلك أنه بوحي من رب العباد الذي يحيط علمه بكل شيء سلك منهجاً دقيقاً في التربية والتعليم، فاستطاع تربية جيل من أصحابه حملوا أمانة صيانة حضارة الإسلام من بعده. لقد بعث الله ﷻ نبيه محمد ﷺ ليعلم الناس الكتاب والحكمة ويزكيهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٦٤).

إن هذا التغيير لأحوال العالم الذي حققه رسول الله ﷺ، كان محل دراسة وبحث عميق عند أهل الفكر والثقافة والمتخصصين، ببناء الحضارات وتاريخ الأمم عبر العصور من جميع الجنسيات، ومن جميع الأديان والمذاهب، والجميع يشهد أنه أعظم تحول يحصل في تاريخ البشر. وما ذلك لأن العلم والمعرفة كان لهما المقام الأعلى والمنزلة الأسمى.

وإن من أهم الدعائم التي أقام عليها رسول الله ﷺ الحضارة أن العلم سلعة غالية، وأن المعرفة قيمة سامية. ولهذا وضع الرسول ﷺ قواعد لتحصيل العلم، وأسس مناهج للبحث عن المعرفة والانتفاع بها، وبين مزالق أهل العلم وطلاب المعرفة للحذر منها واتقائها، حتى تسير الأمة كلها على هدي العلم النافع وفي ظلال المعرفة الصحيحة. والذي يهمنا هنا أن نبين أن هناك مفهوماً عجيباً للعلم رسخه الرسول ﷺ من خلال القرآن الكريم وسنته القولية والعملية، وعليه قامت الحضارة الإسلامية في عصورها الذهبية.

المبحث الرابع

الـــرفـــق

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مـفـهـوم الـــرفـــق

.المطلب الثاني: أهـمـيـة الـــرفـــق

المطلب الثالث: منهجية التغيير والإصلاح في الرفق

المطلب الأول

مفهوم الرفق

إن القرآن الكريم حثَّ على اعتماد الرفق واللين خياراً مبدئياً في نهج الدعوة إلى الإسلام، واعتبره ركناً وأساساً مهماً يقوم عليه صرح الهدى للفكر والعقيدة الحقّة التي دعا إليها جميع الأنبياء والمرسلين، ولقد تعددت لغة الخطاب القرآني لتمتلئ بها كلّ الآفاق التي يمتد إليها الرفق واللين في معانيه الواسعة وغاياته البعيدة، الرفق يحبه الله ويحبه الناس ويجعل الأعمال حسنة بينما العنف يبغضه الله والناس ويجعل العمل قبيحا سيئا، وهو مطلب شرعي يجب أن يتحلى به المسلم.

الرفق في اللغة:

الرفق: ضد العنف والشدّة، ويُراد به اليسر في الأمور والسهولة في التوصل إليها، وأصل الرفق في اللغة هو النفع ، ومنه قولهم: أرفق فلان فلاناً إذا مكّنه مما يرتفق به، ورفيق الرجل: من ينتفع بصحبته، ومرافق البيت: المواضع التي ينتفع بها، ونحو ذلك[١].

ويقال: رَفَقَ به، وله، وعليه رِفقاً، ومَرْفِقاً: لأنَ له جانبه وحَسُنَ صنيعه[٢].

قال ابن منظور: (الرِّفْق ضد العنْف رَفَق بالأَمر وله وعليه يَرْفُق رِفْقاً ورَفُقَ يَرْفُقُ ورَفِقَ لطف ورفَقَ بالرجل وأَرْفَقه بمعنى وكذلك تَرفَّق به) [٣].

الرفق اصطلاحاً:

قال المناوي في تعريفه للرفق: بكسر، فسكون: لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل والدفع بالأخف[٤].

قال ابن حجر: تعريف الرفق:(هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف)[٥].

---

(١) مختار الصحاح- الرازي ص٢٥١.

(٢) المعجم الوسيط ج١ ص٣٦٢.

(٣) لسان العرب ج١٠ ص١١٨.

(٤) فيض القدير ص٢٨٧.

(٥) فتح الباري ج١٠ ص٤٤٩.

ولقد أوصى الإسلام بالرفق وحث عليه، واعتبر المحروم منه محروم من خير كثير، وذلك لأن الرفق في الأمور من شأنه أن يصلح ويعطي أفضل النتائج وأجود الثمرات، بخلاف العنف فمن شأنه أن يفسد ويعطي نتائج سيئة(١).

المطلب الثاني

أهمية الرفق

١. إن الرفق بالناس واللين والتيسير من جواهر عقود الأخلاق الإسلامية، وأنها من صفات الكمال، وأن الله تعالى من صفاته أنه رفيق، وأنه يحب من عباده الرفق، فهو يوصيهم به ويرغبهم فيه، ويعدهم عليه عطاءً لا يعطيه على شيءٍ آخر. ويفهم من النصوص أن العنف شَيْن خلقي، وأنه ظاهرة قبيحة، وأن الله لا يحبه من عباده(٢).

٢. والرفق واللين هما الوسيلة السهلة في التواصل والوصول إلى الأهداف والغايات السامية، وهما لغة التفاهم ومفتاح القلوب، وإذا أردت أن تقيم علاقات قوية وسليمة فعليك بأهم دعامة للعلاقات الصحيحة، والذي به تحقق ما تريد وتصل به إلى الغاية، ومن خلاله تعبر إلى الآخرين فتقوى علاقتك معهم.

٣. إن الرفق هو ما يحمل لنا معاني اللين واللطف والسهولة واليسر؛ لما لها من دور مهم في حياة المؤمن، وما يضطلع به من مهام وأدوار في حركته الواعية بين شرائح وعينات المجتمع بكل أشكالها، وما لها من لبوس حسن جميل يدل على حسن وجمال سريرة المتلبس به، واستقامة ذاته واعتدال تصرفاته، إذ إن الرفق ليس مستهدفاً للغير في مهمته وتأثيراته فحسب، بل هو يبدأ من الذات ليشمل غيرها من الأفراد والمجتمعات، ويوصل إليها رسالة التكافل الاجتماعي بأبهى صُوَرِه.

---

(١) الأخلاق الإسلامية- الميداني ج٢ ص٣٣٧.

(٢) المرجع السابق ج٢ ص٣٣٩.

المطلب الثالث

منهجية التغيير والإصلاح في الرفق

إن الذي صنعه الإسلام على صعيد العنصر الأخلاقي بجميع أركانه ومظاهره؛ كالصدق والأمانة والبرّ والإحسان والرفق والعفو والرحمة والسلام والحب وغير ذلك، إنّما هو على نحو التقرير والتنظيم والإحياء والإنماء، لا على نحو الفرض العلوي المتعالي على الطبيعة البشرية، ذلك لأن العنصر الأخلاقي عنصر فطري ثابت في الفطرة التي فطر الله عليها عباده، ولا تبديل لخلق الله، فمهما احتالت الأفراد أو الشعوب في زمن من الأزمان لأجل قلب القيم وتجاهل أصالتها فإنها لا تستطيع أن تدعو بوضوح إلى إشاعة الكذب والخيانة والخسّة والدناءة، حتّى ولو كانت تمارس ذلك بالفعل، وليس ذلك إلاّ لأن للمبدأ الأخلاقي أصالة في الفطرة[1].

وإن القسوة والفظاظة تباعد بين الراعي والرعية، وتمتلئ القلوب بالغيظ والأحقاد ومن ثم تفترق الأمة إلى شيع وأحزاب، وتتجلى منهجية التغيير والإصلاح في حياة الأمم والشعوب فقد خاطب القرآن الكريم الأمة من خلال نبيها ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

فبرحمة الله، يا محمد، ورأفته بك وبمن آمن معك من أصحابك "لنت لهم"، لاتبّاعك وأصحابك، فسُهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمَه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتّبعك ولا ما بُعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم[2].

يقول سيد قطب: فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم في حاجة إلى قلب كبير

---

(١) الرفق في المنظور الإسلامي ص١٢.

(٢) جامع البيان- الطبري ج٧ ص٣٤١.

يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء؛ ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه؛ ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء[1].

وتعميقاً لروح الرفق واللين التي يريدها الله جل شأنه في الدعوة إلى الحق، جاء التأكيد في نفس تلك الآية المباركة على ما يجسد حالة الرفق واللين العملي بين يدي المؤمنين، في جملة مكارم الأخلاق التي اهتم الإسلام بتحقيقها على النحو الأكمل وإشاعتها بين الناس، فهي تأمر بالعفو لمن يُسيء والغفران لمن يخطئ، ليتجلى الرفق ويظهر اللين في حركة التغيير والإصلاح على منهجية المبلغ (فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ)، ولمزيد من الرفق أمرت هذه الآية الرسول الأعظم ﷺ، ومن يقتدي به من باب أولى أن يشاور أُولئك الذين صدر عنهم الفرار من الزحف وتركوا رسول الله ﷺ في الميدان مع نفرٍ قلائل من أصحابه، فقال ﷻ (وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ) وبعد ذلك يُمضي ما يراه الأصوب في ذلك (فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ) والآية إذن تضرب على وتر الرفق بكلِّ أبعاده ليُنشد أنغامه القدسية في هذه الحياة، وليصنع الأثر الذي يريده الله تعالى في درب التكامل البشري من خلال رسالته السامية، ويحضى الأمر بالرفق والرحمة في هذا الموضع بالذات بوقع خاص، يجلّي أهميّة هذه القيم على نحو قد يُظهره موضع آخر... إذ جاء ذلك على أثر مخالفة المسلمين أمر رسول الله ﷺ يوم أُحد، تلك المخالفة التي أدّت إلى أسوء النتائج إذ دهمهم العدو، فلم يجدوا في أنفسهم ثباتاً، فانقلبوا منهزمين يلوذون بالجبل، وتركوا النبي ﷺ مع نفرٍ يسير من أصحابه، حتى أثخنته الجراح وكُسرت رباعيته وشُجّ وجهه، وهو صامد يدعوهم فلم يفيئوا إليه حتى انكشف العدو، فلمّا رجعوا لم يعنّفهم ولم يُسمعهم كلمة ملامة، ولا ذكّرهم بأمره الذي خالفوه فتحمّلوا بخلافهم مسؤولية كلّ ما وقع... "بل رحّب بهم وكأن شيئاً لم يكن، وكلّمهم برفق ولين، وما هذا الرفق واللين إلاّ رحمة من الله ﷻ بنبيّه وعون له على رباطة الجأش... وإذا مدح الله ﷻ نبيّه ﷺ بكظم الغيظ والرفق بأصحابه على إساءتهم له، فبالأولى أن يعفو الله تعالى ويصفح عن عباده المسيئين... ثمّ بيّن سبحانه الحكمة من لين جانب نبيّه الكريم ﷺ بخطابه له: (وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ) وشمت العدوّ بك وطمع فيك ولم يتمّ أمرك وتنتشر رسالتك..."[2].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ج١ ص٤٤٧.

(٢) الرفق في المنظور الإسلامي ص١٥.

الفصل الخامس

منهجيات التغيير والإصلاح في السنن الإلهية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مفهوم السنن الإلهية وأهميتها وحكمها

المبحث الثاني: السنن الإلهية في سورة آل عمران

المبحث الثالث: السنن الإلهية في غزوات سورة آل عمران

المبحث الأول

مفهوم السنن الإلهية وأهميتها وحكمها

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم السنن في اللغة والاصطلاح

.المطلب الثاني: أهمية السنن الإلهية

المطلب الثالث: حكم العلم بالسنن الإلهية

المطلب الأول

مفهوم السنن في اللغة والاصطلاح

أولاً: مفهوم السنن في اللغة:

يرى ابن الأثير: أن السنة تعني الطريقة والسيرة[١].

والأصل فيها الطريقة والسيرة، ومنه قوله ﷺ: "**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**"[٢]، أي طرق طريقة حسنة... وسنة النبي ﷺ: طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله ﷻ قد يقال لطريق حكمته وطريق طاعته، وقوله تعالى: ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا** ﴾ (سورة فاطر الآية ٤٣). تنبيه (إلى) أن فروع الشرائع وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود فيها لا يتغير ولا يتبدل... وسن الماء على وجهه: صبه صبًّا سهلاً، وسن الحديدة حددها، وسنان ومسنون وسنين وسن سكينه بالمسن)[٣].

قال صاحب المنار: (إنها الطريقة المعبدة والسيرة المتبعة أو المثال المتبع، من قولهم: سن الماء إذا والى صبه، فشبهت العرب الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب، فإنه لتوالي أجزائه على نهج واحد يكون كالشيء الواحد)[٤].

ثانياً: مفهوم السنن في الاصطلاح:

قال عبد الكريم زيدان: (أن سنة الله ﷻ: هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناءً على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة)[٥].

والسنة في الشريعة هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب[٦].

السنن: جمع سنة وهي الطريقة المستقيمة المعبدة، والسيرة المتبعة من قولهم سن الماء إذا والاه

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص٤٠٩.

(٢) مسند أحمد ج٣١ ص٥١٠.

(٣) بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز ج٣ ص٢٦٧- ٢٦٨.

(٤) تفسير المنار ج٤ ص١١٥.

(٥) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ص١٣.

(٦) التعريفات- الجرجاني ص٢٣٧٨.

به، شبهت به السنة لتوالي أجزائها على نهج واحد، وفلان على السنة، أي: على طريق الاستواء لا يميل إلى شيء من الأهواء. وهي ما سنه الله ﷻ في الأمم المكذبة من وقائع[1]، والسنن مجموعة القوانين التي يسير وفقها الكون، والتي يستفيد منها الإنسان[2].

المطلب الثاني

أهمية العلم بالسنن الإلهية

إن القرآن الكريم وجه المسلمين نحو الوعي بالسنن الإلهية؛ فحثهم على النظر والتدبر، والكشف عن قوانين وسنن الاجتماع، ونبه إلى بناء الحضارة وكيفية المحافظة عليها من السقوط.

إن معرفة أثر السنن في الأنفس والمجتمعات ضروري لمعرفة طبيعة هذا الدين، وطبيعة الجاهلية المقابلة، فمن سنن الاجتماع البشري التي يشهد بها الواقع المحسوس، والتاريخ المسطور: "إن الجاهلية التي واجهها كل رسول بالدعوة إلى الإسلام، والتي واجهها الداعية محمد ﷺ بدعوته، والتي واجهها الدعاة في كل زمان وفي كل مكان، هذه الجاهلية لم تكن قط متمثلة في نظرية مجردة، بل كانت متمثلة في تجمع حركي مستقل عن غيره في مجتمع خاضع لتصورات وقيم ومفاهيم وتقاليد وعادات، وهو مجتمع عضوي، بين أفراده ذلك التفاعل والتكامل والتناسق والولاء والتعاون، الذي يجعل هذا المجتمع يتحرك بإرادة واعية أو غير واعية للمحافظة على وجوده والدفاع عن كيانه، والقضاء على عناصر الخطر التي تهدد ذلك الوجود وهذا الكيان في صورة من صور التهديد[3].

ومن هنا تأتي أهمية ربط عمل الدعاة بالجهد والعمل وفق السنن التي لا تحابي فردًا على حساب فرد آخر، أو مجتمعًا على حساب مجتمع آخر، "لقد كتب الله على نفسه النصر لأوليائه، حملة رايته وأصحاب عقيدته... ولكنه علق هذا النصر بكمال حقيقة الإيمان في قلوبهم، وباستيفاء مقتضيات الإيمان في تنظيمهم وسلوكهم، وباستكمال العدة التي في طاقاتهم، وببذل

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ج٣ ص١٣٩، تفسير المراغي ج٤ ص٧٤، الكشاف- الزمخشري ج١ ص٤٠٩.

(٢) انظر: على مشارف القرن الخامس عشر الهجري- دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر- إبراهيم الوزير ص١١.

(٣) معالم في الطريق- سيد قطب ص٥٤.

الجهد الذي في وسعهم، فهذه سنة الله ﷻ، وسنته لا تحابي أحدًا، فأما حين يقصرون في أحد هذه الأمور، فإن عليهم أن يتقبلوا نتيجة التقصير، فإن كونهم مسلمين لا يقتضي خرق السنن وإبطال الناموس، فإنما هم مسلمون لأنهم يطابقون حياتهم كلها على السنن(١).

ومرجع ذلك إلى أن السنن الربانية في الحياة البشرية دقيقة كل الدقة، منتظمة أشد الانتظام، لا تحيد ولا تميل ولا تجامل ولا تحابي، ولا تتأثر بالأماني، وإنما بالأعمال، وهي في دقتها وانتظامها وجديتها كالسنن الكونية سواء بسواء(٢).

المطلب الثالث

حكم العلم بالسنن

من نافلة القول أن سنن الله تعالى المبيَّنة في القرآن الكريم وفي السنّة جديرة بالدراسة والفهم؛ لأن دراستها وفهمها من الأمور المهمة جداً والواجبة شرعاً وديناً؛ إذ هي جزء من معرفة الدين، ومن جملته معرفة أحوال الأمم مع أنبيائهم، وما حلّ فيهم بسبب سلوكهم معهم وفقاً لسنن الله تعالى، كما أنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا نقع في الخطأ والأماني الكاذبة، وبذلك ننجو مما حذرنا الله ﷻ منه، ونظفر بما وعد الله تعالى به عباده المتقين(٣).

والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم؛ إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها... ولا أشك في كون الصحابة كانوا مهتدين بهذه السنن... إنهم بما لهم من معرفة بأحوال القبائل العربية والشعوب القريبة منهم، ومن التجارب والأخبار في الحرب وغيرها، وبما منحوا من الذكاء وقوة الاستنباط ففهموا المراد من السنن ويهتدون بها في حروبهم وسياستهم التي استولوا عليها(٤).

من خلال ما سبق أستطيع القول أن العلم بالسنن الإلهية من فروض الكفاية.

---

(١) في ظلال القرآن- سيد قطب ج.٢ ص٥١٣.

(٢) حول التفسير الإسلامي للتاريخ- محمد قطب ص١٢٠.

(٣) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ص١٦-١٧.

(٤) المنار- محمد رشيد رضا ج٤ ص١٣٩.

المبحث الثاني

السنن الإلهية في سورة آل عمران

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: سنة مداولة الأيام بين الناس

المطلب الثاني: سُنة الابتلاء والتمحيص.

المطلب الثالث: سُنة الإملاء والاستدراج

المطلب الأول

سنة مداولة الأيام بين الناس

إن من السنن الله الربانية مداولة الأيام بين الناس، من الشدة والرخاء، والنصر والهزيمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية١٤٠:١٤١)، وهنا يضع الله ﷻ أيدينا على سر عظيم، وهو ارتباط المداولة بين الأمم والدول والمجتمعات مع التغيير النفسي والذاتي في الأمة، فسقوط الحضارات ونهوضها، والأمم في ارتفاعها وهبوطها، مرتبطة بهذا التغيير النفسي في مسارها عبر التاريخ والحاضر والمستقبل، وهي سنة ماضية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل[1].

يقول رشيد رضا في تفسير المنار: (إن أَنْعُمَ الله تعالى على الأقوام والأمم منوطة ابتداءً ودواماً بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد، وأعمال تقتضيها، فما دامت هذه الشئون لاصقة بأنفسهم متمكنة منها، كانت تلك النعم ثابتة بثباتها، ولم يكن الرب الكريم ينتزعها منهم انتزاعًا بغير ظلم ولا ذنب، فإذا هم غيَّروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق وما يترتب عليها من محاسن الأعمال، غيَّر الله عندئذٍ ما بأنفسهم وسلب نعمته منهم)[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٣٧:١٣٨).

وقد يتخلف النصر عن المسلمين حين يتركون طاعة رسول الله ﷺ أو يطمعون في الغنيمة كما حدث في غزوة أحد، أو حين يركنون لكثرة العدد ويعجبون بأنفسهم وينسون سندهم الأصيل كما وقع في غزوة حنين، وحينئذ تكون الدولة والغلبة بصفة مؤقتة، لحكمة هي استكمال حقيقة الإيمان ومقتضاه من الأعمال، ومتى تحقق ذلك جاء النصر؛ لأن الهزيمة في معركة لا

---

(١) انظر: منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة النبوية- محمد أمحزون ص٤٣.

(٢) المنار- محمد رشيد رضا ج١٠ ص٣٧.

تكون هزيمة إلا إذا تركت آثارها في النفوس همودًا وكلالاً وقنوطًا، فأما إذا بعثت الهمة وأذكت الشعلة وبصّرت بالمزالق، وكشفت عن طبيعة العقيدة وطبيعة الطريق، فهي المقدمة الأكيدة للنصر الأكيد(١).

جاءت آية المداولة ضمن سياق طويل في أعقاب غزوة أحد، وما نتج عنها، وما أصاب المسلمين فيها، فقد جاءت في معرض التربية، ومعالجة الآثار المعنوية والنفسية التي ألقت بظلالها على المسلمين، وهي تقرر أن الأيام دول، والأحوال تتقلب على الناس، فلئن هزمتهم اليوم، فليست النهاية.

تتجلى منهجية التغيير والإصلاح في سنن المداولة فيما يلي:

أولاً: الهدف من طرح القرآن لفكرة المداولة:

إن القرآن الكريم لم يطرح فكرة المداولة عبثًا من غير هدف، كما هو شأن غير المسلمين إنما يطرحها كفعل يستهدف تمحيص الجماعات البشرية، وإثارة الصراع الدائم بينها، الأمر الذي يتمخض عنه تحريك الفعل التاريخي، وخلق التحديات المستمرة أمام المنتمين إلى هذا المذهب أو ذاك(٢).

ثانيًا: المداولة سنة إلاهية:

إن من يراقب حركة التاريخ، وأحوال الدول والحضارات، يبصر هذه الحقيقة ويدرك أن المداولة سنة الحضارات، فما من دولة استحوذت التاريخ البشري كله، وما من دولة استمرت إلى ما لا نهاية، ومداولة الأيام سنة من سنن الله في الاجتماع البشري، ولا غرو أن تكون الدولة مرًة للمبطل ومرًة للمحق، وإنما المضمون لصاحب الحق، أن تكون العاقبة له(٣).

ثالثًا: سنة المداولة لا تحابي أحداً:

يعتقد كثير من المسلمين أن لهم خصوصية، وأن السنة قد تجاملهم، فتحيد عنهم ولا تنطبق على كثير من أفعالهم وأخطائهم، والحقيقة خلاف ذلك، فالسنة الإلهية قانون عام ينطبق على الجميع، لا يحابي أحدًا، ولا يجامل أحدًا، فمن وقع تحت نطاقها انطبقت عليه، ويفهم هذا

---

(١) طريق الدعوة في ظلال القرآن الكريم ص٣٤٧، مؤسسة الرسالة- بيروت ط٢ ١٩٨٥.

(٢) التفسير الإسلامي للتاريخ- عماد الدين خليل ص٢٥٩.

(٣) المنار- محمد رشيد رضا ج٤ ص١٢١-١٢٢.

من قوله (وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ)، فالمسلمون جزء من الناس، والسنة لا استثناء فيها، ويعلم الناظر في السنن العامة والباحث في الحكمة الإلهية، أنه لا محاباة في هذه المداولة[1].

رابعاً: حِكَمُ المداولة:

لقد بينت الآيات الكريمة أن مداولة النصر والهزيمة له أربع حِكَم هي[2]:

١. تمييز الناس واختبارهم: قال تعالى (وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) أي ليتميز الثابتون على الإيمان من الذين يعبدون الله على حرف.

٢. اختيار الشهداء: قَالَ تَعَالَىٰ: (وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ) أي ليكرم ناسًا بالشهادة.

٣. التحميص والتنقية: قَالَ تَعَالَىٰ: (وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) أي لتطهير المؤمنين وتصفيتهم.

٤. إهلاك الكافرين: قَالَ تَعَالَىٰ: (وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ) أي لإهلاكهم فقد جعل الله الأيام مداولة بين الناس ليمحص المؤمنين بما يقع عليهم من قتل أو ألم، أو ذهاب مال، ويمحق الكافرين ليستأصلهم.

المطلب الثاني

سُنة الابتلاء والتمحيص

ذكر القرآن طائفة من الآيات التي تحدث الله فيها عن هذه السنة منها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٤)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٧٩).

يقول الإمام ابن كثير عن الآية الأخيرة: (أي لا بد أن يعقد سبباً من المحنة يظهر فيه وليه، ويفتضح فيه عدوه، يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر)[3].

---

(١) المنار- محمد رشيد رضا ج٤ ص١٢٢.

(٢) الكشاف- الزمخشري ج١ ص٤٦٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ج٢ ص١٧٣.

إن الله يبتلي المؤمنين حسب ما عندهم من إيمانه، روى الإمام أحمد عن النبي ﷺ : " **أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنْ النَّاسِ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**"(١)، ولقد بين ﷺ أن الابتلاء صفة لازمة للمؤمن حيث قال ﷺ:" **مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا يَزَالُ الرِّيحُ تُفِيئُهُ وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ بَلَاءٌ**"(٢).

قال النووي: (معنى الحديث أن المؤمن كثير الآلام في بدنه وأهله وماله وذلك مكفر لسيئاته، ورافع لدرجاته، وأما الكافر فقليلها، إن وقع به شيء لم يكفر شيئاً من سيئاته، بل يؤتي بها يوم القيامة كاملة)(٣)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤٠- ١٤٢).

ويقول صاحب الظلال: (ويقطع النص القرآني بأنه ليس من شأن الله ﷻ وليس من مقتضى ألوهيته، وليس من فعل سنته، أن يدع الصف المسلم مختلطاً غير مميز، يتوارى المنافقون فيه وراء دعوى الإيمان، ومظهر الإسلام، بينما قلوبهم خاوية من بشاشة الإيمان، ومن روح الإسلام؛ فقد أخرج الله الأمة المسلمة لتؤدي دوراً كونياً كبيراً، ولتحمل منهجاً إلهياً عظيماً، ولتنشئ في الأرض واقعاً فريداً، ونظاماً جديداً، وهذا الدور الكبير يقتضي التجرد والصفاء والتميز والتماسك، ويقتضي ألا يكون في الصف خلل، ولا في بنائه دَخَل، وبتعبير مختصر يقتضي أن تكون طبيعة هذه الأمة من العظمة بحيث تسامي عظمة الدور الذي قدره الله لها في هذه الأرض، وتسامي المكانة التي أعدها الله لها في الآخرة.

وكل هذا يقتضي أن يصهر الصف ليخرج منه الخبث، وأن يضغط لتتهاوى اللبنات

---

(١) مسند أحمد ج٣ ص٧٨.

(٢) مسند أحمد ج١٣ ص٢٢٠.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج٩ ص١٦٧.

الضعيفة، وأن تسلط عليه الأضواء لتتكشف الدخائل والضمائر، ومن ثم كان شأن الله ﷻ أن يميز الخبيث من الطيب ولم يكن شأنه أن يذر المؤمنين على ما كانوا عليه قبل هذه الرجة العظيمة)[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤١).

وأما محق الكافرين بالشدائد فليس معناه فناءهم وهلاكهم، وإنما هو اليأس يسطو عليهم وفقد الرجاء يذهب بعزائمهم حتى يذهب ما كان قد بقي من نور الفضيلة في نفوسهم، فلا يبقى لهم شجاعة ولا بأس ولا شيء من عزة النفس فيكون أحدهم كالهلال في المحاق لا نور له[2].

وبالنظر إلى ما يدور من الأحداث الخطيرة والمتسارعة في بلدان المسلمين اليوم، وذلك في الصراع بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر والنفاق سواء ما كان منه صراعاً عسكرياً جهادياً باليد والسنان كما هو الحال في بلاد العراق وفلسطين وما صاحب ذلك من التداعيات، أو ما كان منه صراعاً عقدياً وأخلاقياً وفكرياً كما هو الحاصل في عامة بلدان المسلمين وثورة الربيع الإسلامي في تونس ومصر وليبيا وما بعدها.

تتجلى منهجية التغيير والإصلاح في سنة الابتلاء والتمحيص في بيان أن هذه السنَّة الربانية تعمل الآن عملها بإذن ربها لتؤتي أكلها الذي أراده الله ﷻ منها؛ ألا وهو تمحيص المؤمنين وتمييز الصفوف حتى تنتقي من المنافقين وأصحاب القلوب المريضة؛ وحتى يتعرف المؤمنون على ما في أنفسهم من الثغرات والعوائق التي تحول بينهم وبين التمكين لهم في الأرض فيتخلصوا منها ويغيروا ما بأنفسهم؛ فإذا ما تميزت الصفوف وتساقط المتساقطون في أبواب الابتلاء وخرج المؤمنون الصادقون منها كالذهب الأحمر الذي تخلص من شوائبه بالحرق في النار حينها تهب رياح النصر على عباد الله المصطفين الذين يستحقون أن يمحق الله من أجلهم الكافرين، ومن سار في فلكهم من الزعماء المتحكمين في رقاب الشعوب، ويمكِّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وقبل هذا التمحيص والتمييز؛ فإن سنة محق الكافرين وانتصار المسلمين التي وعدها الله ﷻ عباده المؤمنين لن تتحقق. هكذا أراد الله ﷻ وحكم في سننه التي لا تتبدل: أنَّ محق الكافرين لا بد أن يسبقه تمحيص المؤمنين، ولذلك لما سئل الإمام الشافعي: (أيها

---

(١) في ظلال القرآن ج١ ص٥٢٥.

(٢) تفسير المنار ج٤ ص١٥٢.

أفضل للرجل: أن يُمَكَّن أو يُبتلَى؟ كان من دقيق استنباطه وفهمه لكتاب الله ﷻ أن قال: (لا يُمَكَّن حتى يُبتلَى) [1]، ولعله فَهِم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤١).

إذا لابد من الابتلاء كسنة إلهية، إن النواميس الإلهية التي تحكم الحياة وتسير الكون لا تتغير ولا تتبدل، فهي لا تمضي جزافا بل تتبع نظاما كاملا ومتكاملا، إن سورة آل عمران تربط بين ماضي البشرية وحاضرها وبالعكس، فقد اقتضت سنة الله في الأقوام السابقة التمحيص والاختبار حتى تتميز الصفوف وتتضح معالم الأفراد وتظهر ما تخفيه في صدورها ليبان الخبيث من الطيب وتظهر حقيقة من يتمرغ في الباطل ويخضع لشهوته وبين أصحاب الحق وحملة الدعوة الذين يرخصون الغالي والنفيس في سبيلها، وهذه السنن تتوالى وتتابع على مدار العصور والأزمان.

(١) زاد المعاد- ابن القيم ج٣ ص١٣.

المطلب الثالث

سُنة الإملاء والاستدراج[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٧٨).

وهذه السُّنَّة الإلهية تعمل عملها في هذه الأوقات؛ وذلك في معسكر أهل الكفر والنفاق؛ وبخاصة أولئك الذين بلغ بهم الكِبْر والغطرسة والظلم والجبروت مبلغاً عظيماً، ونراهم يزدادون يوماً بعد يوم في الظلم والبطش والكبرياء ومع ذلك نراهم ممكنين ولهم الغلبة الظاهرة كما هو الحاصل الآن من دولة الكفر والطغيان أمريكا وإسرائيل ومن سار في فلكها؛ حيث ظلمت وطغت وقالت بلسان حالها ومقالها: ﴿ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ (سورة فصلت الآية ١٥).

وقد يحيك في قلوب بعض المسلمين شيء وهم يرون هؤلاء الكفرة يبغون ويظلمون ومع ذلك هم متروكون لم يأخذهم الله بعذاب من عنده، لكن المسلم الذي يفقه سنة الله ﷻ ويتأملها ويرى آثارها وعملها في الأمم السابقة لا يحيك في نفسه شيء من هذا؛ لأنه يرى في ضوء هذه السنة أن الكفرة اليوم وعلى رأسهم أمريكا وحلفاؤها هم الآن يعيشون سُنَّة الإملاء والاستدراج التي تقودهم إلى مزيد من الظلم والطغيان والغرور، وهذا بدوره يقودهم إلى نهايتهم الحتمية وهي الهلاك والقصم في الأجل الذي قد ضربه الله لهم، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ (سورة الكهف الآية ٥٩).

والله ﷻ لا يستجيب لعجلة المستعجلين، بل له الحكمة البالغة والسنَّة الماضية التي إذا آتت أكلها أتى الكفرة ما وعدهم الله ﷻ لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون.

يقول صاحب الظلال: في هذه الآية السابقة الذكر من سورة آل عمران: وفي هذه الآية يصل السياق إلى العقدة التي تحيك في بعض الصدور، والشبهة التي تجول في بعض القلوب، والعتاب الذي تجيش به بعض الأرواح، وهي ترى أعداء الله وأعداء الحق، متروكين لا يأخذهم

---

(١) **الإملاء:** هو الإمهال والتأخير. معجم الفروق اللغوية ص٧٢.

الاستدراج: هو أن يعطي الله العبد كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بعداً من الله تعالى. الكليات- الكفوي ص١١٣.

العذاب، ممتعين في ظاهر الأمر، بالقوة والسلطة والمال والجاه مما يوقع الفتنة في قلوبهم وفي قلوب الناس من حولهم؛ ومما يجعل ضعاف الإيمان يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يحسبون أن الله -حاشاه- يرضى عن الباطل والشر والجحود والطغيان، فيملي له ويرخي له العنان!، أو يحسبون أن الله سبحانه لا يتدخل في المعركة بين الحق والباطل، فيدع للباطل أن يحطم الحق، ولا يتدخل لنصرته، أو يحسبون أن هذا الباطل حق، وإلا فلِمَ تركه الله ينمو ويكبر ويغلب؟ أو يحسبون أن من شأن الباطل أن يغلب على الحق في هذه الأرض، وأن ليس من شأن الحق أن ينتصر، ثم يدع المبطلين الظلمة الطغاة المفسدين يلجُّون في عتوهم ويسارعون في كفرهم، ويلجُّون في طغيانهم، ويظنون أن الأمر قد استقام لهم، وأن ليس هنالك من قوة تقوى على الوقوف في وجههم! وهذا كله وَهْمٌ باطل، وظنٌّ بالله غير الحق، والأمر ليس كذلك، وها هو ذا الله سبحانه وتعالى يحذر الذين كفروا أن يظنوا هذا الظن. إنه إذا كان الله لا يأخذهم بكفرهم الذي يسارعون فيه، وإذا كان يعطيهم حظاً في الدنيا يستمتعون به ويلهون فيه... إذا كان الله يأخذهم بهذا الابتلاء، فإنما هي الفتنة، وإنما هو الكيد المتين، وإنما هو الاستدراج البعيد:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٧٨).

إن من حكمة الله ﷻ في سُنَّة الإملاء للكافرين أن يمكنهم في هذا الإملاء ليزدادوا إثماً وطغياناً يندفعون به بعجلة متسارعة إلى نهايتهم التي فيها قصمهم ومحقهم، وقد بدت بوادر المحق في الأمريكان الكفرة وحلفائهم فيما يتعلق بحقوق الإنسان التي يتشدقون بها وغير ذلك من عوامل المحق والقصم، ولكن الله ﷻ بمكره لهم قد أغفلهم عن سوءاتهم وعما يترتب على حماقاتهم وطغيانهم ليحق عليهم سنته سبحانه في القوم الكافرين، كما أن من حكمته سبحانه في إملاء الكافرين وظلمهم وتسلطهم على المسلمين تحقيق للسنَّة التي سبق الحديث عنها ألا وهي سُنَّة الابتلاء والتمحيص للمؤمنين(١).

ففي الإملاء للكفار وتركهم يتسلطون على المسلمين في مدة من الزمن ابتلاء وتمحيص للمؤمنين، حتى إذا آتت سنَّة الابتلاء أُكُلَها وتميز الصف المؤمن الذي خرج من الابتلاء نظيفاً

(١) انظر: في ظلال القرآن- سيد قطب ج١ ص٥٢٤-٥٢٥.

ممحصاً عندئذ تكون سُنة الإملاء هي الأخرى قد أشرفت على نهايتها فيحق القول على الكافرين ويمحقهم الله كرامة للمؤمنين الممحصين الذين يمكن الله لهم ﷻ في الأرض ويخلفون في الأرض بعد محق الكافرين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤١).

فذكر الله سبحانه التمحيص قبل المحق ولو محق الله الكفار قبل تهيؤ المؤمنين الممحصين فمن يخلف الكفار بعد محقهم؟ إن الله ﷻ حكيم عليم وما كان سبحانه ليحابي أحداً في سننه ولله ﷻ الحكمة في وضع السُّنتين: سنة الابتلاء، وسنة الإملاء في آيتين متتاليتين في سورة آل عمران.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٧٨:١٧٩).

ولعل من الحكمة أن يُعلمنا الله ﷻ أن هاتين السنتين متلازمتان ومتزامنتان، وأن إحداهما تهيئ للأخرى، حتى نهيئ أنفسنا لهذا الأمر العظيم الذي أراده الله لنا، ولحكم أخرى لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

المبحث الثالث

منهجية التغيير والإصلاح في السنن الإلهية في غزوات سورة آل عمران

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: التغيير والإصلاح في غزوة بدر الكبرى

المطلب الثاني: منهجية التغيير والإصلاح في غزوة أحد

المطلب الثالث: منهجية التغيير والإصلاح في غزوة حمراء الأسد

المطلب الرابع: منهجية التغيير والإصلاح في غزوة مؤتة

المطلب الأول

التغيير والإصلاح في غزوة بدر الكبرى

تمهيد:

إن معركة بدر الكبرى نتج عنها تقرير مصير الدعوة الإسلامية، وبالتالي أصبح لها كيانهاً الإيماني والحضاري الملموس في دنيا الواقع المحسوس قد وقعت في رمضان، وما كان ذلك إلا إفرازاً شهياً لهذا الانتصار الحاسم للمسلمين على الكفار في أول لقاء حربي بينهم على أرض المعركة، والمواجهة وجهاً لوجه.

وغزوة بدر أول تجربة عسكرية ناجحة في حياة هذه الأمة ما زلنا نذكرها بفخر واعتزاز بل إن الله ﷻ جعل حيثياتها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة.

يقول عبد الكريم زيدان: (لقد مضت سنة الله بتدافع الحق وأهله مع الباطل وأهله، وأن الغلبة تكون وفقًا لسنن الله في الغلبة والانتصار، وأن هذا التدافع يقع في الأصل بين أهل الجانبين: الحق والباطل، ومن ثمرات التمسك بالحق والقيام بمتطلباته أن يحصلوا على عون وتأييد من الله تعالى، بأشكال وأنواع متعددة من التأييد والعون، ولكن تبقى المدافعة والتدافع يجريان وفقًا لسنن الله ﷻ فيهما، وفي نتيجة هذا التدافع فالجهة الأقوى بكل معاني القول اللازمة للغلبة هي التي تغلب، فالإمداد بالملائكة هو بعض ثمرات إيمان تلك العصبة المجاهدة، ذلك الإمداد الذي تحقق به ما يستلزم الغلبة على العدو، ولكن بقيت الغلبة موقوفة على ما قدمه أولئك المؤمنون في قتال ومباشرة لأعمال القتال، وتعرضهم للقتل، وصمودهم وثباتهم في الحرب، واستدامة توكلهم على الله ﷻ، واعتمادهم عليه، وثقتهم به، وهذه معانٍ جعلها الله سبحانه حسب سننه في الحياة أسبابًا للغلبة والنصر، مع الأسباب الأخرى المادية، مثل العُدة والعدد والاستعداد للحرب وتعلم فنونه، ولهذا فإن الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يباشروا بأنفسهم إزهاق الباطل وقتال المبطلين، وأن يهيئوا الأسباب المادية والإيمانية للغلبة والانتصار، وبأيديهم إن شاء الله تعالى ينال المبطلون ما يستحقونه من العقاب)[1].

لذلك فلا أرى داعياً للخوض في تفاصيل المعركة، غير الوقوف على التغيير والإصلاح فيها:

---

(١) المستفاد من قصص القرآن ج٢ ص١٣١-١٣٢.

أولاً: حقيقة النصر من الله تعالى:

إن حقيقة النصر في بدر كانت من الله ﷻ فقد بين سبحانه هذه الحقيقة في كتابه العزيز، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٢٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال الآية ١٠) في هاتين الآيتين تأكيد على أن النصر لا يكون إلا من عند الله ﷻ، والمعنى: ليس النصر إلا من عند الله دون غيره، و(العزيز) أي: ذو العزة التي لا ترام، والحكمة في قَدره والإحكام[١]، و(الحكيم) أي: الحكيم فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى[٢].

ويستفاد من هاتين الآيتين: الإصلاح العقدي وتغيير الفكر المادي البحت، ليتعلم المؤمنون الاعتماد على الله وحده، وتفويض أمورهم إليه مع التأكيد على أن النصر إنما هو من عند الله وحده، وليس من الملائكة أو غيرهم، فالأسباب يجب أن يأخذ بها المسلمون، لكن يجب أن لا يغتروا بها، وأن يكون اعتمادهم على خالق الأسباب حتى يمدهم الله ﷻ بنصره وتوفيقه، ثم بين سبحانه مظاهر فضله على المؤمنين، وأن النصر الذي كان في بدر، وقتلهم المشركين، ورمي النبي ﷺ المشركين بالتراب يوم بدر إنما كان في الحقيقة بتوفيق الله أولاً وبفضله ومعونته. وبهذه الآية الكريمة يربي القرآن المسلمين ويعلمهم الاعتماد عليه، قال تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال الآية ١٧).

ولما بيَّن سبحانه وتعالى أن النصر كان من عنده، وضح بعض الحكم من ذلك النصر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٢٧: ١٢٨).

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص٤١١.

(٢) تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٠٢.

وأمر سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتذكروا دائما تلك النعمة العظيمة؛ نعمة النصر في بدر، ولا ينسوا من أذهانهم كيف كانت حالتهم قبل النصر[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة الأنفال الآية ٢٦).

ثانيًا: يوم الفرقان:

سُمي يوم بدر يوم الفرقان، ولهذه التسمية أهمية عظيمة في حياة المسلمين، وقد تحدث الأستاذ سيد قطب عن وصف الله تعالى ليوم بدر بأنه يوم الفرقان في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة الأنفال الآية ٤١). فقال: (كانت غزوة بدر، التي بدأت وانتهت بتدبير الله وتوجيهه وقيادته ومدده، فرقانًا بين الحق والباطل، كما يقول المفسرون إجمالاً، وفرقانًا بمعنى أشمل وأدق وأوسع وأعمق كثيراً.

كانت فرقاناً بين الحق والباطل فعلاً... ولكنه الحق الأصيل الذي قامت عليه السماوات والأرض، وقامت عليه فطرة الأحياء والأشياء... الحق الذي يتمثل في تفرد الله سبحانه بالألوهية والسلطان والتدبير والتقدير، وفي عبودية الكون كله سمائه وأرضه، أشيائه وأحيائه، لهذه الألوهية المتفردة، ولهذا السلطان المتوحد، ولهذا التدبير وهذا التقدير بلا معقب ولا شريك، والباطل الزائف الطارئ الذي كان يعم وجه الأرض إذ ذاك، ويغشى على ذلك الحق الأصيل، ويقيم في الأرض طواغيت تتصرف في حياة عباد الله ﷻ بما تشاء، وأهواء تصرف أمر الحياة والأحياء، فهذا الفرقان الكبير الذي تم يوم بدر، حيث فرق بين ذلك الحق الكبير، وهذا الباطل الطاغي، وزيَّل بينهما فلم يعودا يلتبسان، لقد كانت فرقاناً بين الحق والباطل بهذا المدلول الشامل الواسع الدقيق العميق، على أبعاد وآماد، كانت فرقانًا بين هذا الحق وهذا الباطل في أعماق الضمير؛ فرقانًا بين الوحدانية المجردة المطلقة بكل شعبها في الضمير والشعور، وفي الخلق

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع- علي محمد الصلابي ج١ص٤٤٢.

والسلوك، وفي العبادة والعبودية، وبين الشرك في كل صوره التي تشمل عبودية الضمير لغير الله ﷻ من الأشخاص، والأهواء والقيم والأوضاع والتقاليد والعادات، وكانت فرقانًا بين هذا الحق وهذا الباطل في الواقع الظاهر، كذلك فرقانًا بين العبودية الواقعية للأشخاص، والأهواء، وللقيم والأوضاع والشرائع والقوانين وللتقاليد والعادات، وبين الرجوع في هذا كله لله الواحد الذي لا إله غيره، ولا متسلط سواه، ولا حاكم دونه، ولا مشرع إلا إياه، فارتفعت الهامات لا تنحني لغير الله ﷻ، وتساوت الرؤوس فلا تخضع إلا لحاكميته وشرعه، وتحررت القطعان البشرية التي كانت مستعبدة للطغاة.

وكانت فرقاناً بين عهدين في تاريخ الحركة الإسلامية: عهد المصابرة والصبر والتجمع والانتظار، وعهد القوة والحركة والمبادأة والاندفاع، والإسلام بوصفه تصويرًا جديدا للحياة، ومنهجًا جديدًا للوجود الإنساني، ونظامًا جديدًا للمجتمع، وشكلاً جديدًا للدولة، بوصفه إعلاناً عامًّا لتحرير الإنسان في الأرض بتقرير ألوهية الله وحده وحاكميته، ومطاردة الطواغيت التي تغتصب ألوهيته)[1].

إلى أن قال: (وأخيراً فلقد كانت بدر فرقانًا بين الحق والباطل بمدلول آخر، ذلك المدلول الذي يوحي به قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (سورة الأنفال الآية ٧: ٨).

ولقد حق الحق وبطل الباطل بالموقعة، وكان هذا النصر العملي فرقانًا واقعيًا بين الحق والباطل بهذا الاعتبار الذي أشار إليه قول الله تعالى في معرض بيان إرادته سبحانه من وراء المعركة، ومن وراء إخراج الرسول ﷺ من بيته بالحق، ومن وراء إفلات القافلة (غير ذات الشوكة) ولقاء الفئة ذات الشوكة. ولقد كان هذا كله فرقانًا بين منهج هذا الدين ذاته، تتضح به طبيعة هذا المنهج وحقيقته في حس المسلمين أنفسهم.. وإنه لفرقان ندرك به اليوم ضرورته، حينما ننظر إلى ما أصاب مفهومات هذا الدين من تميع في نفوس من يسمون أنفسهم مسلمين، حتى ليصل هذا التميع إلى مفهومات بعض من يقومون بدعوة الناس إلى هذا الدين، وهكذا كان

---

(١) في ظلال القرآن ج٣ ص١٥٢١-١٥٢٢.

يوم بدر:﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ (سورة الأنفال الآية ٤١).

بهذه المدلولات المنوعة الشاملة العميقة، والله على كل شيء قدير، وفي هذا اليوم مثل من قدرته على كل شيء، مثل لا يجادل فيه مجادل، ولا يماري فيه ممارٍ... مثل من الواقع المشهود، الذي لا سبيل إلى تفسيره إلا بقدرة الله ﷻ، وأن الله سبحانه على كل شيء قدير)[١].

ثالثاً: منهجية التغيير الإصلاح في الولاء والبراء:

الولاء لغة:

قال ابن فارس: (الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب... من ذلك الولي: القريب... والولاء: الموالون، يقال: هؤلاء ولاء فلان"، ثم قال: "والباب كلّه راجع إلى القرب)[٢].

وقال الراغب: (الولاء والتوالي: أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد. والوَلاية: النصرة، والوِلاية: تولي الأمر، وقيل: الوِلاية والوَلاية نحو: الدِّلالة والدَّلالة)[٣].

البراء لغة:

قال ابن فارس: (فأمّا الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب ــ ثم قال بعد ما ذكر الأصل الأول: والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومُزايَلَتُه، من ذلك البرء وهو السلام من السقم، يقال: برئت وبرأت... ومن ذلك قولهم: برئت إليك من حقك وأهل الحجاز يقولون: إنا براء منك، وغيرهم يقولون: أنا بريء منك)[٤].

وقال الراغب: (أصل البُرء والبراءة والبَري: التقصّي مما يكره مجاورته، ولذلك قيل: بَرَأْتُ من المرض، وبِرئتُ من فلان وتبرّأت، وأبْرَأته من كذا، وبَرّأته، ورجل بَريء، وقوم برآء، وبريؤون)[٥]، وقال الزبيدي: (أصل تركيب البرْء لخلوص الشيء من غيره، إما على

---

(١) في ظلال القرآن ج٣ ص١٥٢٣- ١٥٢٤.

(٢) مقاييس اللغة ج٦ ص١٤١-١٤٢.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص٨٨٥-٨٨٧.

(٤) مقاييس اللغة ج١ ص٢٣٦-٢٣٧.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ص١٢١.

سبيل التقصي، كبَرَأ المريض من مرضه، والمديون من دينه، أو الإنشاء، كبَرَأ الله آدم من الطين)[1].

إذن الولاء لغة يطلق على عدّة معان منها: المحبة، والنصرة، والاتباع، والقرب من الشيء، والدنو منه، والبراء لغة يطلق على عدة معان أيضاً منها: البعد، والتنزه، والتخلص، والعداوة.

منهجية التغيير والإصلاح في الولاء والبراء:

رسمت غزوة بدر لأجيال الأمة صوراً مشرقة في الولاء والبراء، وجعلت خطًا فاصلاً بين الحق والباطل، فكانت الفرقان النفسي والمادي والمفاصلة التامة بين الإسلام والكفر، وفيها تجسدت هذه المعاني، فعاشها الصحابة واقعًا ماديًّا وحقيقة نفسية، وفيها تهاوت القيم الجاهلية، فالتقى الابن بأبيه والأخ بأخيه: من خلال المواقف التالية:

١- كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة في صف المسلمين، وكان أبوه عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبة في صف المشركين، وقد قتلوا جميعاً في المبارزة الأولى.

٢- كان أبو بكر الصديق في صف المسلمين.. وكان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين.

٣- كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صف المشركين، ثم وقع أسيرًا في يد أحد الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: شد يدك به فإن أمه ذات متاع، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك، تلك كانت حقائق وليس مجرد كلمات: إنه أخي دونك[2]، إنها القيم المطروحة لتقوم الإنسانية على أساسها، فإذا العقيدة هي آصرة النسب والقرابة وهي الرباط الاجتماعي[3].

٤- كان شعار المسلمين في بدر (أَحَدٌ، أَحَدٌ) وهذا يعني أن القتال في سبيل عقيدة تتمثل بالعبودية للإله الواحد، فلا العصبية ولا القبلية، ولا الأحقاد والضغائن، ولا الثأر هو الباعث والمحرك، ولكنه الإيمان بالله وحده.

ومن هذا المنطلق كانت صور الإيمان مختلفة المظاهر واحدة في مضمونها[4]، وللإيمان فقه عظيم، ومن هذا الفقه حينما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، هاجر إليها كل من استطاع

---

(١) تاج العروس ج١ ص١٤٥.

(٢) انظر: البداية والنهاية ج٣ ص٣٠٧.

(٣) انظر: معين السيرة ص٢١٣.

(٤) انظر: معين السيرة ص٢١٣.

ذلك من المسلمين في مكة، وحبس من كان مضطهدًا ولم يستطع ذلك، فلما كان يوم بدر كان بعض هؤلاء في صف المشركين منهم: عبد الله بن سهيل بن عمرو، والحارث بن زمعة بن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه.

فأما عبد الله بن سهيل بن عمرو فقد انحاز من صف المشركين إلى رسول الله ﷺ فشهد المعركة، وكان أحد الصحابة الذين نالوا هذا الشرف العظيم[١].

وأما الآخرون فلم يفعلوا ذلك، وشهدوا المعركة في صف المشركين وقد أصيبوا جميعاً[٢] فقتلوا تحت راية الكفر، فنزل في حقهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (سورة النساء الآية ٩٧).

قال ابن عباس: كان قوم من المسلمين أقاموا بمكة، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا على الخروج، فنزلت: (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) إنهم لم يعذروا إذ كانت إمكانات الانتقال إلى صف المؤمنين متوافرة، ولم يكن الفاصل كبيرًا بين الصفين، ولن يعدموا لو أرادوا الفرصة في الانتقال إلى رسول الله ﷺ كما فعل عبد الله بن سهيل[٣]، وإن للإيمان مستلزمات تعبر عن صدقه وقوته، ومن مستلزماته استعلاؤه على كل القيم مما سواه، فإذا كان كذلك كان لأصحابه الأثر الفعال، والقوة الفاعلة في بناء الحق والخير الذي أراده الله، إن الإيمان يصبغ السلوك، فإذا به يشع من خلال الحركة والجهد، ومن خلال الكلمة والابتسامة، ومن خلال السمت والانفعال؛ ولذا لم يعذر الذين كانوا في صف المشركين؛ لأن الإيمان الذي ادعوه لم توجد له مستلزمات فلم يؤت ثماره[٤].

---

(١) انظر: معين السيرة ص٢١٧.

(٢) السيرة النبوية- ابن هشام ج٢ ص٢٥٣.

(٣) انظر: معين السيرة ص٢١٨.

(٤) انظر: معين السيرة ص٢١٨.

المطلب الثاني

منهجية التغيير والإصلاح في غزوة أحد

تمهيد:

لقد وصف القرآن الكريم غزوة أحد وصفًا دقيقاً، وكان التصوير القرآني للغزوة أقوى حيوية ووضوحًا من الروايات التي جاءت في الغزوة، كما أن أسلوب الآيات المطمئنة المبشرة واللائمة، والمسكنة والواعظة كان رائعًا وقوياً، فبين القرآن الكريم نفوس جيش النبي ﷺ، وهذا تميز لحديث القرآن عن الغزوة، ينفرد به عما جاء في كتب السيرة، فسلط القرآن الكريم الأضواء على خفايا القلوب، التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم، والناظر عموما في منهج القرآن في التعقيب على غزوة أحد، يجد الدقة والعمق والشمول.

يقول سيد قطب: (الدقة في تناول كل موقف، وكل حركة، وكل خالجة، والعمق في التدسس إلى أغوار النفس ومشاعرها الدفينة، والشمول لجوانب النفس وجوانب الحادث. كما نجد الحيوية في التصوير والإيقاع والإيحاء، بحيث تتماوج المشاعر مع التعبير والتصوير تماوجًا عميقًا عنيفًا، ولا تملك أن تقف جامدة أمام الوصف، والتعقيب فهو وصف حي، يستحضر المشاهد، كما لو كانت تتحرك، ويشيع حولها النشاط المؤثر والإشعاع النافذ، والإيحاء المثير)[1].

إن حركة النبي ﷺ في تربية الأمة وإقامة الدولة والتمكين لدين الله، تعتبر انعكاساً في دنيا الحياة لمفاهيم القرآن الكريم التي سيطرت على مشاعره، وأفكاره وأحاسيسه ﷺ، ولذلك نجد أن النبي ﷺ في علاجه لأثر الهزيمة في أحد تابع للمنهج القرآني الكريم، ونحاول تسليط الأضواء على بعض النقاط المهمة في هذا المنهج.

أولاً: تذكير المؤمنين بالسنن ودعوتهم للعلو الإيماني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٣٧:١٣٨: ١٣٩).

---

(١) في ظلال القرآن ج١ ص٥٣٢.

إن المتأمل في هذه الآيات الكريمة يجد أن الله سبحانه وتعالى لم يترك المسلمين لوساوس الشيطان في محنة غزوة بدر، بل خاطبهم بهذه الآيات التي بعث بها الأمل في قلوبهم، وأرشدهم إلى ما يقويهم ويثبتهم، ويمسح بتوجيهاته دموعهم ويخفف عنهم آلامهم(١).

ففي الآيات السابقة دعوة للتأمل في مصير الأمم السابقة التي كذبت بدعوة الله تعالى، وكيف جرت فيهم سنته على حسب عادته، وهي الإهلاك والدمار بسبب كفرهم وظلمهم وفسوقهم على أمره. وجاء التعبير بلفظ كيف الدال على الاستفهام، المقصود به تصوير حالة هؤلاء المكذبين التي تدعو إلى التعجب، وتثير الاستغراب، وتغرس الاعتبار والاتعاظ في قلوب المؤمنين؛ لأن هؤلاء المكذبين مكن الله ﷻ لهم في الأرض ومنحهم الكثير من نعمه، ولكنهم لم يشكروه عليها، فأهلكهم بسبب طغيانهم(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ دعاهم إلى ترك الضعف، ومحاربة الجبن، والتخلص من الوهن، وعدم الحزن؛ لأنهم هم الأعلون بسبب إيمانهم.

ثانياً: تسلية المؤمنين وبيان حكمة الله فيما وقع يوم أحد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤٠: ١٤١: ١٤٢: ١٤٣).

بيَّن الله ﷻ لهم أن الجروح والقتلى يجب ألا تؤثر في جسدهم واجتهادهم في جهاد العدو؛ وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله من قبل ذلك، فإذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى(٣).

---

(١) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ج١ ص١٩٠.

(٢) المرجع السابق ج١ ص١٩١.

(٣) تفسير الرازي ج٩ ص١٤.

وقال صاحب الكشاف: والمعنى: إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم، ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال، فأنتم أولى أن لا تضعفوا(١).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنه كان يوم أحد بيوم بدر، قتل المؤمنون يوم أحد، اتخذ الله ﷻ منهم شهداء، وغلب رسول الله ﷺ يوم بدر المشركين فجعل الدولة عليهم(٢).

وقد ذكر الله تعالى أربع حكم لما حدث للمؤمنين في غزوة أحد وهي: تحقق علم الله تعالى وإظهاره للمؤمنين، وإكرام بعضهم بالشهادة التي توصل صاحبها إلى أعلى الدرجات، وتطهير المؤمنين وتخليصهم من ذنوبهم ومن المنافقين، ومحق الكافرين واستئصالهم رويدًا رويدا(٣).

ثالثاً: منهجيات التغيير والإصلاح في معالجة الأخطاء:

جاء في غزوة أحد قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٢)، وفي هذا حكمة عملية وتربية قرآنية يحسن أن يلتزمها أهل التربية والقائمون على التوجيه(٤).

ترفق القرآن الكريم وهو يعقب على ما أصاب المسلمين في أحد على عكس ما نزل في بدر من آيات، فكان أسلوب القرآن الكريم في محاسبة المنتصر على أخطائه أشد من حساب المنكسر، فقال في غزوة بدر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال الآية ٦٧:٦٨).

---

(١) الزمخشري ج١ ص٤٦٥.

(٢) تفسير الرازي ج٤ ص١٠٥.

(٣) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ج١ ص١٩٩.

(٤) صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة ص١٣٧.

رابعاً: ضرب المثل بالمجاهدين السابقين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤٦:١٤٧:١٤٨)، قال ابن كثير: (عاتب الله ﷻ بهذه الآيات والتى قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمداً ﷺ قد قتل، فعذَلهم الله ﷻ على فرارهم وتركهم القتال)(١).

وضرب الله ﷻ لهم مثلاً بإخوانهم المجاهدين السابقين، ساروا وراء أنبيائهم في درب الجهاد في سبيل الله، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله تعالى وما ضعفوا عن الجهاد بعد الذي أصابهم منه، وما استكانوا للعدو، بل ظلوا صابرين ثابتين في جهادهم، وفي هذا تعريض بالمسلمين الذين أصابهم الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم، وضرب الله ﷻ مثلا للمؤمنين لتثبيتهم بأولئك الربانيين وبما قالوه: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤٧)، وإضافة الذنوب والإسراف إلى نفوسهم هضم لها واعتراف منهم بالتقصير ودعاؤهم بالاستغفار من ذنوبهم مقدم على طلبهم تثبيت أقدامهم أمام العدو، ليكون طلبهم إلى ربهم النصر عن زكاة وطهارة وخضوع، وفي هذا تعليم للمسلمين إلى أهمية التضرع، والاستغفار وتحقيق التوبة. وتظهر أهمية ذلك في إنزال النصر على الأعداء (فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وبذلك نالوا ثواب الدارين: النصر والغنيمة في الدنيا، والثواب الحسن في الآخرة، جزاء إحسانهم في أدب الدعاء والتوجه إلى الله ﷻ، وإحسانهم في موقف الجهاد، وخص الله تعالى ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه على ثواب الدنيا وأنه هو المعتمد عنده(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص٤١٠.

(٢) المستفاد من قصص القرآن ج٢ ص٢٠٤.

خامساً: مخالفة ولي الأمر تسبب الفشل لجنوده:

ويظهر ذلك في مخالفة الرماة لأمر النبي ﷺ ووقوعهم في الخطأ الفظيع الذي قلب الموازين، وأدى إلى الخسائر الفادحة التي لحقت بالمسلمين. ولكي نعرف أهمية الطاعة لولي الأمر، نلحظ أن انخذال عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين لم يؤثر على المسلمين، بينما الخطأ الذي ارتكبه الرماة الذين أحسن الرسول ﷺ تربيتهم، وأسند لكل واحد منهم عملا، ثم خالفوا أمره ﷺ كان ضرره على المسلمين عامة، حيث سلط الله ﷻ عليهم عدوهم، وذلك بسبب عصيان الأوامر، ثم اختلطت أمورهم وتفرقت كلمتهم، وكاد يُقضى على الدعوة الإسلامية وهي في مهدها.

والملاحظ من خلال أحداث غزوة أحد: أن المسلمين انتصروا في أول الأمر حينما امتثلوا لأوامر الرسول ﷺ، وانقادوا لتعليمات قائدهم وأميرهم عبد الله بن جبير ﷺ، بينما انهزموا حينما خالفوا أمره ﷺ ونزل الرماة من الجبل لجمع الغنائم مع بقية الصحابة ﷺ [1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٣).

يقول الشيخ محمد بن عثيمين: (ومن آثار عدم الطاعة ما حصل من معصية بعض الصحابة ﷺ، والنبي ﷺ بين أظهرهم، وهم يجاهدون في سبيل الله تعالى، لإعلاء كلمة الله ﷻ، والذي حصل أنه لما كانت الغلبة للمؤمنين، ورأى بعض الرماة أن المشركين انهزموا تركوا الموضع الذي أمرهم النبي ﷺ ألا يبرحوه، وذهبوا مع الناس، وبهذا كر العدو عليهم من الخلف، وحصل ما حصل من الابتلاء والتمحيص للمؤمنين، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى

---

(١) غزوة أحد دارسة دعوية ص٢٠٧- ٢٠٩.

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٢)، هذه المعصية التي فات بها نصر انعقدت أسبابه، وبدأت أوائله، هي معصية واحدة والرسول ﷺ بين أظهرهم، فكيف بالمعاصي الكثيرة؟ ولهذا نقول: إن المعاصي من آثارها أن الله ﷻ يسلط بعض الظالمين على بعض بما كانوا يكسبون، ويفوتهم من أسباب النصر والعزة بقدر ما ظلموا فيه أنفسهم[١].

سادساً: خطورة إيثار الدنيا على الآخرة:

وردت نصوص عديدة من آيات وأحاديث تبين منزلة الدنيا عند الله وتصف زخارفها وأثرها على فتنة الإنسان، وتحذر من الحرص عليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤).

وقد حذر الرسول الكريم ﷺ أمته من الاغترار بالدنيا، والحرص الشديد عليها في أكثر من موضع، وذلك لما لهذا الحرص من أثره السيئ على الأمة عامة وعلى من يحملون لواء الدعوة خاصة ومن ذلك: عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**"[٢]، ويظهر أثر الحرص على الدنيا في غزوة أحد.

قال ابن عباس ﷺ: لما هزم الله المشركين يوم أحد، قال الرماة: (أدركوا الناس ونبي الله، لا يسبقوكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم) وقال بعضهم: (لا نبرح المكان حتى يأذن لنا النبي ﷺ)[٣]، فنزلت: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٢).

قال الطبري: قوله سبحانه: (مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا) يعني الغنيمة، قال ابن مسعود: ما كنت أرى أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد[٤].

---

(١) الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع- محمد بن العثيمين نقلاً عن غزوة أحد ص٢١١.

(٢) صحيح مسلم- كتاب الذكر والدعاء- باب أكثر أهل الجنة ص١٠٩٦.

(٣) تفسير الطبري ج٣ ص٤٧٤.

(٤) المرجع السابق ج٣ ص٤٧٤.

إن الذي حدث في أحد عبرة عظيمة للدعاة وتعليماً لهم بأن حب الدنيا قد يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان ويخفى عليهم، فيؤثرون الدنيا ومتاعها على الآخرة ومتطلبات الفوز بنعيمها، ويعصون أوامر الشرع الصريحة كما عصى الرماة أوامر الرسول ﷺ الصريحة بتأويل ساقط، يرفعه هوى النفس وحب الدنيا، فيخالفون الشرع وينسون المحكم من أوامره، كل هذا يحدث ويقع من المؤمن وهو غافل عن دوافعه الخفية، وعلى رأسها حب الدنيا، وإيثارها على الآخرة ومتطلبات الإيمان، وهذا يستدعي من الدعاة التفتيش الدائم الدقيق في خبايا نفوسهم واقتلاع حب الدنيا منها، حتى لا تحول بينهم وبين أوامر الشرع، ولا توقعهم في مخالفته بتأويلات ملفوفة بهوى النفس وتلفتها إلى الدنيا ومتاعها(١).

سابعاً: التعلق والارتباط بالدين:

قال ابن كثير: لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، وقتل من قتل منهم، نادى الشيطان، ألا إن محمدًا قد قتل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم: قتلت محمدًا، وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قُتل، وجوزوا عليه ذلك، كما قد قص الله ﷻ عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن وتأخر، عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تَعَالَىٰ:﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ** ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤٤)، أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه(٢).

وقد جاء في تفسير الآية السابقة، أن الرسل ليست باقية في أقوامها أبدًا، فكل نفس ذائقة الموت، ومهمة الرسول تبليغ ما أرسل به، وقد فعل، وليس من لوازم رسالته البقاء دائما مع قومه، فلا خلود لأحد في هذه الدنيا، ثم قال تعالى منكرًا على من حصل له ضعف لموت النبي ﷺ أو قتله، فقال تعالى: **(أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ)** أي رجعتم القهقرى، وقعدتم عن الجهاد، والانقلاب على الأعقاب يعني الإدبار عما كان رسول الله ﷺ يقوم به من أمر الجهاد

---

(١) المستفاد من قصص القرآن ج٢ ص١٩٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ج١ ص٤٤١.

ومتطلباته: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الذين لم ينقلبوا أو ظلوا ثابتين على دينهم متبعين رسوله حيًا أو ميتاً[1].

لقد كان من أسباب البلاء والمصائب التي حدثت للمسلمين يوم أحد أنهم ربطوا إيمانهم وعقيدتهم ودعوتهم إلى الله ﷻ لإعلاء كلمته بشخص رسول الله ﷺ، فهذا الربط بين عقيدة الإيمان بالله ربًا معبودًا وحده، وبين بقاء شخص النبي ﷺ خالدًا فيهم خالطه الحب المغلوب بالعاطفة، الربط بين الرسالة الخالدة وبين الرسول ﷺ البشر الذي يلحقه الموت كان من أسباب ما نال الصحابة ﷺ من الفوضى والدهشة والاستغراب، ومتابعة الرسول ﷺ أساس وجوب التأسي به في الصبر على المكاره، والعمل الدائب على نشر الرسالة، وتبليغ الدعوة ونصرة الحق، وهذا التأسي هو الجانب الأغرّ من جوانب منهج رسالة الإسلام؛ لأنه الدعامة الأولى في بناء مسيرة الدعوة لإعلاء كلمة الله ﷻ ونشرها في آفاق الأرض، وعدم ربط بقاء الدين واستمرار الجهاد في سبيله ببقاء شخص النبي ﷺ في هذه الدنيا[2].

إن غزوة أحد كانت مقدمة وإرهاصًا بين يدي موت رسول الله ﷺ فثبتهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله ﷺ، أو قتل، بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه، أو يُقتلوا، فإنهم إنما يعبدون رب محمد ﷺ، وهو لا يموت فلو مات محمد ﷺ أو قتل، لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينهم، وما جاء به فكل نفس ذائقة الموت، وما نُعت محمد ﷺ ليخلد، لا هو ولا هم، بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد، فإن الموت لا بد منه، سواء مات رسول الله ﷺ أو بقي، ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه لما صرخ الشيطان، إن محمدًا ﷺ قد قتل فقال ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤٤)، والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا فظهر أثر هذا العتاب، وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله ﷺ، وارتد من ارتد

---

(١) المستفاد من قصص القرآن ج٢ ص٢٠٠.

(٢) محمد رسول الله- صادق عرجون ج٣ ص٦١٦.

على عقبيه، وثبت الشاكرون على دينهم فنصرهم الله، وأعزهم وظفرهم وجعل العاقبة لهم)[١].

قال القرطبي: (فهذه الآية من تتمة العتاب مع المنهزمين، أي لم يكن لهم الانهزام وإن قتل محمد، والنبوة لا تدرأ الموت، والأديان لا تزول بموت الأنبياء) [٢].

وفي غزوة أحد نزل التشريع الإلهي بالعتاب على ما حدث منهم أثناء أحداث غزوة أحد، وعند موت الرسول ﷺ جاء التطبيق حيث (لما توفي رسول الله ﷺ أقبل أبو بكر الصديق ﷺ على فرس من مسكنه، حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فقصد رسول الله ﷺ وهو مغشي بثوب، فكشف عن وجهه ﷺ ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها)[٣].

وعن ابن عباس ﷺ قال: إن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر ﷺ فقال أبو بكر ﷺ: أما بعد من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٤٤)، وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر ﷺ قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر ﷺ تلاها فَعَقِرْت حتى ما تقلُّني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات[٤].

ثامناً: معاملة النبي ﷺ للرماة الذين أخطأوا والمنافقين الذين انخذلوا:

أ- الرماة:

إن الرماة الذين أخطأوا الاجتهاد في غزوة أحد لم يخرجهم الرسول ﷺ خارج الصف، ولم يقل لهم إنكم لا تصلحون لشيء من هذا الأمر بعدما بدا منكم في التجربة من النقص

---

(١) زاد المعاد- ابن القيم ج٣ ص٢٢٤.

(٢) تفسير القرطبي ج٤ ص٢٢٢.

(٣) البخاري- كتاب المغازي- باب مرض النبي ﷺ ووفاته ج٦ ص١٣.

(٤) البخاري- كتاب المغازي- باب مرض النبي ﷺ ووفاته ج٦ ص١٤.

والضعف، بل قبل ضعفهم هذا في رحمة وعفو وفي سماحة، ثم شمل سبحانه وتعالى برعايته وعفوه جميع الذين اشتركوا في هذه الغزوة، رغم ما وقع من بعضهم من أخطاء جسيمة وما ترتب عليه من خسائر فادحة، فعفا سبحانه وتعالى عفوًا غسل به خطاياهم ومحا به آثار تلك الخطايا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٢)، وهناك أمر مهم يتصل بهذا العفو قد يترك أثرًا في نفوسهم يعوقها بعض الشيء، ذلك هو موقف رسول الله ﷺ مما حدث منهم...، لهذا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن يعفو عنهم وحثه على الاستغفار لهم، كما أمره أن يأخذ رأيهم والاستماع إلى مشورتهم، ولا يجعل ما حدث صارفًا له عن الاستفادة من خبراتهم ومشورتهم(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

ب- انخذال ابن سلول المنافق:

كان هدف عبد الله ابن سلول بانسحابه بثلاثمائة من المنافقين، أن يحدث بلبلة واضطرابًا في الجيش الإسلامي، لتنهار معنوياته ويتشجع العدو، وتعلو همته. وعمله هذا ينطوي على استهانة بمستقبل الإسلام، وغدر به في أحلك الظروف، وقد حاول عبد الله بن حرام أن يمنعهم من ذلك الانخذال إلا أنهم رفضوا دعوته(٢)، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۖ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ

(١) غزوة أحد دراسة دعوية ص٢١٨.

(٢) المرجع السابق ص٢١٩.

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٦٦:١٦٧).

فبالرغم من خطورة الموقف وحاجة المسلمين لهذا العدد، لقلة جيش المسلمين وكثرة جيش قريش إلا أن الرسول ﷺ ترك هؤلاء المنافقين وشأنهم، ولم يعرهم أي اهتمام، واكتفى بفضح أمرهم أمام الناس[١]، وكان لهذا الأسلوب أثره في توبيخ وإهانة ابن سلول، فعندما رجع رسول الله ﷺ من غزوته من حمراء الأسد، أراد ابن سلول أن يقوم كعادته لحث الناس على طاعة رسول الله ﷺ، قال الإمام الزهري: كان عبد الله بن أبي له مقام يقومه كل جمعة لا ينكسر له شرفًا في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفًا، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به، فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس أي عدو الله، والله لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس، فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك ما لك؟ قال: قمت أشدد أمره فوثب إلي رجال من أصحابه يعنفونني، قالوا: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله، قال: والله ما أبغي أن يستغفر لي[٢].

تاسعاً: أحد جبل يحبنا ونحبه:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: إن النبي ﷺ طَلَع له أحدٌ فقال: "**هذا جبل يحبنا ونحبه**"[٣].

وهذا يدل على دقة شعور النبي ﷺ حيث قارن بين ما كسبه المسلمون من منعة التحصن والاحتماء بذلك الجبل، وما أودعه الله تعالى فيه من قابلية لذلك، فعبر عن ذلك بأرقى وشائج الصلة وهي المحبة، أفلا يعتبر هذا الوجدان الحي والإحساس المرهف مثلا أعلى على التخلق بخلق الوفاء؟. ألا إن الذي يعترف بفضل الحجارة الصماء، ويفضي عليها من الأخلاق السامية ما لا يتصف به إلا أفاضل العقلاء لجدير به أن يعترف بأدنى فضل يكون من بني الإنسان، وإن كان وفاؤه ﷺ للجماد قد سما حتى حاز أرقى العبارات وأرقها، فأخلق ببني الإنسان الأوفياء أن

---

(١) غزوة أحد دراسة دعوية ص٢٢٠.

(٢) البداية والنهاية ج٤ ص٥٣.

(٣) صحيح البخاري- كتاب الجهاد- باب فضل الخدمة في الغزو ج٤ ص٣٥.

ينالوا منه أعظم من ذلك، فضلا عمن تجمعه بهم الأخوة في الله تعالى[1].

والإنسان كثيراً ما يربط بين المصيبة وبين مكانها أو زمانها وحتى لا تنسحب هذه العادة وتستمر بعد أن جاء الإسلام كان هذا القول الكريم بياناً للحق، وابتعادًا عن الطيرة والتشاؤم، وذلك المعنى الذي يبقي الآثار السيئة في نفس الإنسان، ولا شك أن المسلمين سيقفون على أحد يتذكرون تلك المعركة فحتى لا يرتبط بفكرهم ذلك المعنى السيئ بين لهم أن المكان والزمان مخلوقات لله ﷻ لا علاقة لهما ولا أثر بما يحدث فيهما، وإنما الأمر بيد الله تعالى، والاستشهاد في سبيل الله ﷻ كرامة لصاحبه لا مصيبة، وهكذا تتسق المفاهيم في إطارها الإيماني، إذًا (أحد) يكرم ويحب انطلاقاً من هذا القول الكريم، وكيف لا يكرم وقد اختاره الله سبحانه ليثوي فيه حمزة وأصحابه ﷺ ممن اختارهم الله في ذلك اليوم فجادوا بأنفسهم ابتغاء مرضاته[2].

عاشراً: الملائكة في غزوة أحد:

قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد، رجلين عليهما ثياب يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل، عليهما السلام[3]. وهذا خاص بالدفاع عن النبي ﷺ؛ لأن الله ﷻ تكفل بعصمته من الناس، ولم يصح أن الملائكة قاتلت في أحد سوى هذا القتال، ذلك لأن الله تعالى وعدهم أن يمدهم؛ وجعل وعده معلقًا على ثلاثة أمور: الصبر والتقوى وإتيان الأعداء من فورهم، ولم تتحقق هذه الأمور فلم يحصل الإمداد[4]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٢٤:١٢٥).

حادي عشر: قوانين النصر والهزيمة في سورة آل عمران:

تحدثت سورة آل عمران عن غزوة أحد لكي تتعلم الأمة كثيراً من المفاهيم، تتعلق بمفهوم القضاء والقدر، ومفهوم الحياة والموت، ومفهوم النصر والهزيمة، ومفهوم الربح

---

(١) التاريخ الإسلامي ج٥ ص١٩٨.

(٢) معين السيرة النبوية ص٤٢٧.

(٣) صحيح مسلم- كتاب الفضائل- باب قتال جبريل وميكائيل ص٩٤٤.

(٤) السيرة النبوية الصحيحة ج٢ ص٣٩١.

والخسارة، ومفهوم الإيمان والنفاق، ومفهوم المنحة والمحنة، ومن المفاهيم التي تعلمها الصحابة ﷺ من خلال أحداث بدر وأحد وسورة آل عمران، قوانين النصر والهزيمة، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أ- حين يقدر الله تعالى النصر، فلن تستطيع قوى الأرض كلها الحيلولة دونه، وحين يقدر الهزيمة، فلن تستطيع قوى الأرض أن تحول بينه وبين الأمة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٦٠).

ب- ولكن هذا النصر له نواميس ثابتة عند الله ﷻ، نحن بحاجة إلى فقهها، فلا بد أن تكون الراية خالصة لله سبحانه عند الذين يمثلون جنده، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (سورة محمد الآية ٧). ونصر الله ﷻ في الاستجابة له، والاستقامة على منهجه والجهاد في سبيله.

ج- حب الدنيا والتهافت عليها يفقد الأمة عون الله ﷻ ونصره، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٢).

د- ونقص العدد والعدة ليس هو سبب الهزيمة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٢٣).

ثاني عشر: فضل الشهداء وما أعده الله لهم من نعيم مقيم:

قال رسول الله ﷺ: "لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال ﷻ: أنا أبلغهم عنكم" فأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ هذه

الآيـــات[1]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٦٩: ١٧٠: ١٧١).

وقد جاء في تفسير الآيات السابقة ما رواه الواحدي عن سعيد بن جبير أنه قـــال: لمـــا أصيب حمزة بن عبد المطلب ﷺ، ومصعب بن عمير ﷺ يوم أحد، ورأوا ما رزقوا من الخيـــر قالوا: ليت إخواننا يعلمون ما أصابنا من الخير كي يزدادوا في الجهاد رغبة، فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى: (**وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ**) إلى قوله: (**وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**) [2]، وروى مسلم بسنده عن مسروق، قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هـــذه الآية: (**وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**). قال: أما إنا سألنا عن ذلك، فقال: "أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة، حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قـــالوا: أي شـــيء نشتهي؟! ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلمـــا رأوا أنهـــم لـــن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا"[3].

ثالث عشر: الهجوم الإعلامي على المشركين:

كان الإعلام في العهد النبوي يقوم على الشعر، وكان شعراء المشركين في بـــدر فـــي موقف الدفاع والرثاء، وفي غزوة أحد حاول شعراء قريش أن يضخموا هذا النصر، وأمام هـــذا الكبرياء المزيف، انبرى حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة ﷺ للـــرد علـــى حملات المشركين الإعلامية التي قادها شعراؤهم كهبيرة بن أبي وهـــب، وعبـــد الله الزَّبَعْـــرَى

---

(١) تفسير الطبري ج٤ ص١٧٠.

(٢) أسباب النزول- الواحدي، ص١٢٥، تفسير الطبري ج٤ ص٢٦٩.

(٣) صحيح مسلم- كتاب الإمارة- باب أرواح الشهداء في الجنة ص٧٨٥.

وضرار بن الخطاب وعمرو بن العاص[1]، ممن كانت لهم صولة وجولة في الشعر واللغة، وكانت قصائد حسان بن ثابت كالقنابل على المشركين، وقد أشاد بشجاعة المسلمين، ويوبخ المشركين ويصفهم بالجبن حينما لم يستطيعوا حماية لوائهم حتى كان في النهاية بيد امرأة منهم، وولى أشرافهم وتركوه، وفي هذا الهجاء تذكير للمشركين بمواقف الذل والجبن التي تعرضوا لها في بداية المعركة، حتى لا يغتروا بما حصل في نهايتها من إصابة المسلمين[2].

إن الحرب الإعلامية لها دور في تغير النفوس وقلب موازين المعارك والحروب، فالإعلام له شأن بارز في تغيير آراء وأفكار الناس والتأثير عليهم وإصلاح شؤونهم لذلك أن نستخدمه أيما استخدام في تغيير وإصلاح المجتمع الذي يقوم بدوره على إصلاح الأمة؛ لأن صلاح المجتمع صلاح للأمة.

المطلب الثالث

منهجية التغيير والإصلاح في غزوة حمراء الأسد

يقول سيد قطب: كان خروج رسول الله ﷺ لملاحقة المشركين في غزوة حمراء الأسد يهدف لتحقيق مجموعة من المقاصد المهمة منها:

١. أراد رسول الله ﷺ ألا يكون آخر ما تنضم عليه جوانح المسلمين ومشاعرهم هو شعور الهزيمة وآلام البرح والقرح؛ فاستنهضهم لمتابعة قريش وتعقبها كي يقر في أخلادهم أنها تجربة وابتلاء وليست نهاية المطاف. وأنهم بعد ذلك أقوياء وأن خصومهم المنتصرين ضعفاء إنما هي واحدة وتمضي ولهم الكرة عليهم متى نفضوا عنهم الضعف والفشل واستجابوا لدعوة الله ﷻ والرسول ﷺ.

٢. إن رسول الله ﷺ شاء في الجانب الآخر ألا تمضي قريش وفي جوانحها ومشاعرها أخيلة النصر ومذاقاته، فمضى خلف قريش بالبقية ممن حضروا المعركة أمس (أي معركة أحد)؛ يشعر قريشاً أنها لم تنل من المسلمين منالاً. وأنه بقي لها منهم من يتعقبها ويكر عليها.

٣. إن رسول الله ﷺ شاء أن يشعر المسلمين وأن يشعر الدنيا كلها من ورائهم بقيام هذه الحقيقة الجديدة التي وجدت في هذه الأرض، حقيقة أن هناك عقيدة هي كل شيء في نفوس

---

(١) معين السيرة ص٢٥٢-٢٥٣.

(٢) السيرة النبوية- علي محمد الصلابي ج١ ص ٥٢٦.

أصحابها، ليس لهم من أرب في الدنيا غيرها وليس لهم من غاية في حياتهم سواها، عقيدة يعيشون لها وحدها فلا يبقى لهم في أنفسهم شيء بعدها ولا يستبقون هم لأنفسهم بقية في أنفسهم لا يبذلونها لها ولا يقدمونها فداها، لقد كان هذا أمراً جديداً في هذه الأرض في ذلك الحين، ولم يكن بد أن تشعر الأرض كلها- بعد أن يشعر المؤمنون- بقيام هذا الأمر الجديد وبوجود هذه الحقيقة الكبيرة[١].

كما أن في خروج النبي ﷺ إلى حمراء الأسد إشارة نبوية إلى أهمية استعمال الحرب النفسية للتأثير على معنويات الخصوم، حيث خرج ﷺ بجنوده إلى حمراء الأسد، ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها، حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به فانصرفوا، وقد ملأ الرعب أفئدتهم[٢].

إن الحرب النفسية كانت جزءً من مخططات الرسول ﷺ ومخططات المشركين، فليست إذن هي وليدة الفكر المعاصر بل تقول: إن كثيراً مما يظن أنه وليد الفكر المعاصر ليس هو كذلك فهناك منطق البداهة والغريزة ينطلق الناس عنه دائماً أبداً وإنما التعقيد والتنظيم يتضحان على مدى العصور، والملاحظ أن الحرب النفسية لم تؤثر في رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ وإنما أثرت بالمشركين فقط وذلك هو الوضع الطبيعي الذي ينبغي أن يكون عليه الحال، فإذا ما حدث غير ذلك فالسبب المرض عند المسلمين.

بل إن قوله ﷺ: "**تُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**"[٣]، يدل على أن الغلبة في الحرب النفسية هي الأساس وهي النصر، ولكن ذلك لا يكون للمسلمين إلا إذا تأسوا برسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ في طلب الموت وإحسان الحركة السياسية والعسكرية[٤].

كان لابد من لمسة قيادية وحنكة عسكرية تقلب الموازين، وتعدل الميزان، وتحول الهزيمة إلى نصر، فالقائد الناجح هو الذي يتدارك الموقف ويقود السفينة إلى شاطئ الأمان، ويرفع معنويات جنوده في أحلك المواقف، ويخرج بالأمل من وسط الألم، وهذا ما فعله الهادي الحبيب ﷺ مع جنوده البواسل الميامين فكان منارة لمن أراد أن يقتدي أو أراد فلاحاً.

---

(١) في ظلال القرآن ج١ ص٥١٩.

(٢) غزوة أحد لأبي فارس ص٥١.

(٣) صحيح البخاري- كتاب الصلاة- باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ج١ ص٩٥.

(٤) الأساس في السنة وفقهها- سعيد حوى ج٢ ص٦٠١.

المطلب الرابع

منهجية التغيير والإصلاح في غزوة مؤتة

تتضح أهمية هذه الغزوة بما فيها من دروس وعبر كثيرة في التغيير والإصلاح أقف على عدد منها:

١ -**أهمية هذه المعركة:** تعتبر هذه المعركة من أهم المعارك التي وقعت بين المسلمين وبين النصارى الصليبيين من عرب وعجم؛ لأنها أول صدام مسلح ذي بال بين الفريقين، وأثرت تلك المعركة على مستقبل الدولة الرومانية، فقد كانت مقدمة لفتح بلاد الشام وتحريرها من الرومان.

ونستطيع أن نقول إن تلك الغزوة هي خطوة عملية قام بها النبي ﷺ للقضاء على دولة الروم المتجبرة في بلاد الشام، فقد هز هيبتها من قلوب العرب، وأعطت فكرة عن الروح المعنوية العالية عند المسلمين، كما أظهرت ضعف الروح المعنوية في القتال عند الجندي الصليبي النصراني[١]، وأعطت فرصة للمسلمين للتعرف على حقيقة قوات الروم، ومعرفة أساليبهم في القتال.

٢- حب الشهادة باعث للتضحية: إن الصبر والثبات والتضحية التي تجلت في كل واحد من الأمراء الثلاثة وسائر الجند كان مبعثها الحرص على ثواب المجاهدين، والرغبة في نيل الشهادة لكي يكرمهم الله ﷻ برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ويدخلوا جنات الله ﷻ الواسعة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

٣- تميز هذه المعركة عن سائر المعارك: فهي الوحيدة التي جاء خبرها من السماء، إذ نعى النبي ﷺ استشهاد الأبطال الثلاثة قبل أن يصل الخبر من أرض المعركة، بل وأخبر النبي ﷺ عن أحداثها، وتمتاز أيضا عن غيرها بأنها الوقعة الوحيدة التي اختار النبي ﷺ لها ثلاثة أمراء على الترتيب: زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن رواحة ﷺ[٢].

٣ -**من فقه القيادة:** إنه درس عظيم يقدمه لنا الصحابي الجليل ثابت بن أقرم العجلاني، عندما أخذ اللواء بعد استشهاد عبد الله بن رواحة ﷺ آخر الأمراء، وذلك أداء منه للواجب؛ لأن وقوع الراية معناه هزيمة الجيش، ثم نادى المسلمين أن يختاروا لهم قائدًا،

---

(١) الصراع مع الصليبيين ص٦٤.

(٢) المرجع السابق ص٦٦.

وفي زحمة الأحداث قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل... فاصطلح الناس على خالد ﷺ. وفي رواية أن ثابتًا ﷺ مشى باللواء إلى خالد بن الوليد ﷺ، فقال خالد بن الوليد ﷺ: لا آخذه منك، أنت أحق به فقال: والله ما أخذته إلا لك.

إن مضمون كلتا الروايتين واحدٌ، أن ثابتًا جمع المسلمين أولاً وأعطى القوس باريها، فأعطى الراية أبا سليمان خالد بن الوليد ﷺ[1]، ولم يقبل قول المسلمين: أنت أميرنا، ذلك أنه يرى فيهم من هو أكفأ منه لهذا العمل، وحينما يتولى العمل من ليس له بأهل، فإن الفساد متوقع، والعمل حينما يكون لله تعالى، لا يكون فيه أثر لحب الشهرة، أو حظ النفس.

إن ثابتًا ﷺ لم يكن عاجزًا عن قيادة المسلمين، وهو ممن حضر بدرًا، ولكنه رأى من الظلم أن يتولى عملاً وفي المسلمين من هو أجدر به منه، حتى ولو لم يمضِ على إسلامه أكثر من ثلاثة أشهر؛ لأن الغاية هي السعي لتنفيذ أوامر الله ﷻ على الوجه الأحسن والطريقة الأمثل[2].

وهنا نقف أمام حكمة جميلة يجب أن نفقها ونتعلمها وهي أن كثيراً ممن يتزعمون قيادة الدعوة الإسلامية اليوم يضعون العراقيل أمام الطاقات الجديدة، والقدرات الفذة خوفًا على مكانتهم القيادية، وامتيازاتهم الشخصية، وأطماعهم الدنيوية، فعلى أولئك القادة أن يتعظوا من هذا الدرس البليغ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

٥- درس نبوي في احترام القيادة: قال عوف بن مالك الأشجعي ﷺ: خرجت مع زيد بن حارثة ﷺ في غزوة مؤتة ورافقني مدديّ من اليمن[3]... ومضينا فلقينا جموع الروم، فيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وله سلاح مذهب، فجعل الرومي يضرب بالمسلمين، فقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه بسيفه، وفر الرومي، فعلاه بسيفه فقتله وحاز فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين، بعث إليه خالد بن الوليد ﷺ فأخذ منه بعض السلب، قال عوف: فأتيت خالدًا، وقلت له: أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى، ولكني استكثرته قلت: لتردنها إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ، فأبى أن يرد عليه. قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة المددي، وما فعل خالد ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "يا خالد ما حملك على ما صنعت؟" قال: استكثرته فقال: "رد عليه الذي

---

(١) التاريخ الإسلامي- الحميدي ج٧ ص١٢٤.

(٢) من معين السيرة- الشامي ص٣٧٦.

(٣) مددي أي جاء مدداً، وفي رواية: رجل من حمير.

أخذت منه". قال عوف ﷺ: فقلت: دونكها يا خالد، ألم أوف لك؟ فقال رسول الله ﷺ: "وما ذلك؟" فأخبرته قال: فغضب رسول الله ﷺ وقال: "**يا خالد لا ترد عليه، هل أنتم تاركون لي أمرائي، لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره**"(١).

هذا موقف عظيم من النبي ﷺ في حماية القادة والأمراء من أن يتعرضوا للإهانة بسبب الأخطاء التي قد تقع منهم، فهم بشر معرضون للخطأ، فينبغي السعي في إصلاح خطئهم من غير تنقص ولا إهانة، فخالد ﷺ حين يمنع ذلك المجاهد سلبه لم يقصد الإساءة إليه، وإنما اجتهد فغلَّب جانب المصلحة العامة، حيث استكثر ذلك السلب على فرد واحد، ورأى أنه إذا دخل في الغنيمة العامة نفع عددًا أكبر من المجاهدين، وعوف بن مالك ﷺ أدى مهمته في الإنكار على خالد ﷺ، ثم رفع الأمر إلى رسول الله ﷺ حينما لم يقبل خالد ﷺ قوله، وكان المفترض أن تكون مهمته قد انتهت بذلك؛ لأنه والحال هذه قد دخل في أمر من أوامر الإصلاح، وقد تم الإصلاح على يديه، ولكنه تجاوز هذه المهمة حيث حول القضية من قضية إصلاحية إلى قضية شخصية، فأظهر شيئًا من التشفي من خالد ﷺ، ولم يقره النبي ﷺ على ذلك، بل أنكر عليه إنكارًا شديدًا وبيَّن حق الولاة على جنودهم، وكون النبي ﷺ أمر خالدًا ﷺ بعدم رد السلب على صاحبه لا يعني أن حق ذلك المجاهد قد ضاع؛ لأنه لا يمكن أن يأخذ رسول الله ﷺ إنسانًا بجريرة غيره، فلا بد أن ذلك المجاهد قد حصل منه الرضا، إما بتعويض عن ذلك السلب أو بتنازل منه أو غير ذلك فيما لا يذكر تفصيله في الخبر(٢).

وفي قوله ﷺ : "**هل أنتم تاركون لي أمرائي**" وسام آخر يضاف إلى خالد ﷺ حيث عده من أمراء الرسول ﷺ، وهذا من المنهاج النبوي الكريم في تقدير الرجال(٣).

٦- مقاييس الإيمان وأثرها في المعارك:

توقف الجيش الإسلامي في إمعان يناقش كثرة جيش العدو، وكانت المقاييس المادية لا تشجعهم على خوض المعركة، ومع ذلك تابعوا طريقهم ودخلوا بمقاييس إيمانية، فهم خرجوا يطلبون الشهادة فلماذا إذن يفرون مما خرجوا لطلبه.

---

(١) صحيح مسلم- كتاب الجهاد- باب استحقاق القاتل سلب القتيل ص٧٢٧.

(٢) التاريخ الإسلامي- الحميدي ج٧ ص١٣٠.

(٣) معين السيرة ص٣٧٨.

قال زيد بن أرقم ﷺ: كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياتًا منها:

بأرض الشام مشتهى الثواء ... وجاء المسلمون وغادروني

فلما سمعتها منه بكيت، قال: فخفقني بالدرة، وقال: وما عليك يا لكع أن يرزقني الله ﷻ الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل[1].

إن التأمل بعمق في غزوة مؤتة يساعدنا في معالجة الهزيمة النفسية والروحية التي تمر بها الأمة، وإقامة الحجة على القائلين بأن سبب هزيمتنا التفوق التكنولوجي لدى الأعداء. لقد سجل ابن كثير رأيه في هذه المعركة وقال: (...هذا عظيم جداً أن يقاتل جيشان متعاديان في الدين، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله ﷻ عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل، من الروم مائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً، وقد قتل من المشركين خلق كثير، هذا خالد ﷺ وحده يقول: لقد اندقَّت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقى في يدي إلا صفيحة يمانية، فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟ دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، وقد تحكموا في عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن في ذلك الزمان وفي كل أوان...) [2].

(١) السيرة النبوية- ابن هشام ج٤ ص٢٤-٢٥.

(٢) البداية والنهاية ج٤ ص٢٥٩.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة الممتعة في التغيير والإصلاح في ضوء سورة آل عمران، وقبل أن أضع القلم يطيب لي أن أسجل أبرز ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات وهي على النحو الآتي:

١. بينت السورة أن التغيير والإصلاح لا ينحصر في أسلوب واحد، وإنما هو خاضع لتقديرات وظروف كل بلد من البلدان.

٢. إن تحديد سمة مرحلة التغيير وأدواته يحتاج إلى عقل راشد، وحس مرهف بالأوضاع، وجهد مضني في امتلاك الوسائل والأدوات للوصول لأفضل أسلوب.

٣. إن للتغيير مراتب أساسية أعلاها التغيير باليد وهو من أهم مراتب التغيير ويخضع للقدرة والتمكين ويسقط عن الضعف والعجز.

٤. إن القلب الذي استقرت فيه حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية لله الواحد، لا يمكن أن يهدأ إلا أن يرى هذه الحقيقة الربانية قد استقرت وتمكنت في الأرض وفق منهج القرآن الكريم.

٥. إن القصص القرآني يوجه الأفراد والشعوب إلى منهجية التغيير والإصلاح بسرد سيرهم والوقوف على أهم الملامح الذي رسمها الأنبياء عليهم السلام في تعاملهم مع أقوامهم.

٦. إن الشدائد محك الرجولة ومجال البطولة، والتجارب بوتقة تصهر خبث النفس وتظهر الشخصية ناضجة مصقولة متكاملة، والأحداث تربي العزائم وتوجه النفسية الهامشية إلى ما فيه تماسكها وصلابتها.

٧. وضح البحث أن القرآن العظيم يوجه الباحثين عن التغيير والإصلاح من خلال التربية الواقعية الحسية التي عايشتها الأمة المسلمة والتي تتشابه أحداثها من وقت لآخر في التاريخ.

٨. ذكر البحث أن تربية الأجيال الإسلامية هي أمانة في أعناق كل مربي يريد أن تعلو راية التوحيد وأن ينتشر الإسلام في ربوع العالمين.

٩. إن التغيير باللسان له المكانة العالية في تجنيد طاقات أبناء المجتمع المسلم للخير، وندبهم أن يكونوا جزءًا من عملية التغيير والإصلاح.

١٠. إن سورة آل عمران أوضحت أهم المنهجيات في التغيير والإصلاح في بقاء حياة الأمم وصدارتها فإذا أرادت الأمة إعادة بناء وصياغة حضارتها عليها أن تأخذ بأسباب ذلك.

١١. إن القرآن الكريم وجه المسلمين نحو الوعي بالسنن الإلهية؛ فحثهم على النظـــر والتـــدبر، والكشف عن قوانين وسنن الاجتماع واستغلالها في عملية التغيير والإصلاح.

١٢. وجه البحث منهجيات التغيير والإصلاح في النظام السياسي وخاصة في الشورى.

١٣. أبرز البحث منهجيات التغيير والإصـــلاح فـــي ســـنة الابـــتلاء والتمحـــيص والمداولـــة والاستدراج.

١٤. وضح البحث منهجيات التغيير والإصلاح في السنن الإلهية وخاصة في غزوات الرســـول صلى الله عليه وسلم (بدر وأحد وحمراء الأسد ومؤتة).

التوصيات

١. ضرورة العمل على تغيير وإصلاح النفس البشرية، ويبدأ كل إصلاح من تغيير كل إنســـان من نفسه ما يراه فاسداً لأن صلاح النفس مرتبط بصلاح المجتمع فإقامة الدولة المسلمة.

٢. طلب التغيير والإصلاح في جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، واستغلال السنن الإلهية والمنح الربانية فيما يصلح الفرد والمجتمع.

٣. استغلال المنهجيات التربوية من التربية بالقصص والأحداث وضرب الأمثال ليصـــبح لهـــا دورها ومكانتها في تغيير الواقع إلى الأفضل.

٤. الاهتمام بالمنهجيات القيمة والأخلاقية لتكوين مجتمع قادر على القيام بواجبـــه فـــي عمليـــة التغيير والإصلاح، والالتزام بالأخلاق لأنها من أبرز صفات المسلم.

٥. الوقوف على السنن الإلهية في الغزوات النبوية واستخلاص منهجيات التغيير والإصلاح منها لتكون نقطة الانطلاق في العملية التغييرية الصحيحة.

ختاماً أسأل الله العظيم جل في علاه أن تكون هذه الدراسة فاتحة خير لي وللأمة الإسلامية.

فهرس الآيات

الرقم	الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
١.	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	البقرة	٣٣
٢.	﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	البقرة	٤٤
٣.	﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	البقرة	٤٤
٤.	﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	البقرة	٦٣
٥.	﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	البقرة	٦٥
٦.	﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	البقرة	١٠٣
٧.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	آل عمران	٣٨
٨.	﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	آل عمران	٣٨
٩.	﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾	آل عمران	٣٩
١٠.	﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	آل عمران	٤٠
١١.	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	آل عمران	٤٠

١٢.	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾	آل عمران	٤٠
١٣.	﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	آل عمران	٤٠
١٤.	﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ ﴾	آل عمران	٤١
١٥.	﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾	آل عمران	٤٥
١٦.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	آل عمران	٤٦
١٧.	﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ ﴾	آل عمران	٤٦
١٨.	﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾	آل عمران	٥٨
١٩.	﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾	آل عمران	٥٢
٢٠.	﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ﴾	آل عمران	٦٠

٢١.	﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	آل عمران	٦١
٢٢.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	آل عمران	٦٥
٢٣.	﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	آل عمران	٦٧
٢٤.	﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾	آل عمران	٦٧
٢٥.	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾	آل عمران	٨٢
٢٦.	﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾	آل عمران	٨٤
٢٧.	﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾	آل عمران	٩١
٢٨.	﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾	آل عمران	٩١
٢٩.	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ ﴾	آل عمران	٩٤
٣٠.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾	آل عمران	٩٦
٣١.	﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	آل عمران	١٠١

٣٢.	﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	آل عمران	١٢٦
٣٣.	﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	آل عمران	٧١
٣٤.	﴿ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	آل عمران	١٤٠
٣٥.	﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ﴾	آل عمران	١٤٠
٣٦.	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾	آل عمران	١٤٤
٣٧.	﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ ﴾	آل عمران	١٤٥
٣٨.	﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾	آل عمران	١٤٩
٣٩.	﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	آل عمران	١٥٦
٤٠.	﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	آل عمران	١٥٧

٤١.	﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾	آل عمران	١٥٩
٤٢.	﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	آل عمران	١٥٩
٤٣.	﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾	آل عمران	١٦٠
٤٤.	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	آل عمران	١٦٠
٤٥.	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾	آل عمران	١٦١
٤٦.	﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾	آل عمران	١٦١
٤٧.	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾	آل عمران	١٦٢
٤٨.	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	آل عمران	١٦٥
٤٩.	﴿ وَلْيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۖ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ ﴾	آل عمران	١٦٥

٥٠.	﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾	آل عمران	١٦٧
٥١.	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ﴾	آل عمران	١٦٨
٥٢.	﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	آل عمران	١٦٨
٥٣.	﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾	النساء	٢٠
٥٤.	﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	النساء	٤٥
٥٥.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾	النساء	٤٦
٥٦.	﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	النساء	٤٦
٥٧.	﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾	النساء	٤٧
٥٨.	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ ﴾	النساء	٥٨
٥٩.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ ﴾	النساء	١٥٥

٦٠.	﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾	المائدة	١٥
٦١.	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	الأنعام	٥١
٦٢.	﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾	الأنعام	٦٣
٦٣.	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾	الأنعام	٧٦
٦٤.	﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ ﴾	الأعراف	٢٥
٦٥.	﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾	الأعراف	٣٤
٦٦.	﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	الأعراف	٥٠
٦٧.	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾	الأعراف	٦٣
٦٨.	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾	الأعراف	١٠١
٦٩.	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ ﴾	الأنفال	١٩
٧٠.	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	الأنفال	١٤٩
٧١.	﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	الأنفال	١٤٩
٧٢.	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾	الأنفال	١٥٠
٧٣.	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	الأنفال	١٥٠

٧٤.	﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾	الأنفال	١٥٢
٧٥.	﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	الأنفال	١٥٨
٧٦.	﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾	التوبة	١٢٥
٧٧.	﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ ﴾	التوبة	٧٥
٧٨.	﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾	يونس	٥١
٧٩.	﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾	يوسف	١٠٩
٨٠.	﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾	يوسف	٧٥
٨١.	﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾	الرعد	٥٠
٨٢.	﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ ﴾	الرعد	٨٨
٨٣.	﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	النحل	٦٢
٨٤.	﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	الرعد	٩٠

٨٥.	﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾	الكهف	٨٠
٨٦.	﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾	الكهف	١٤٤
٨٧.	﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	الحج	٦٠
٨٨.	﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴾	النمل	٧٢
٨٩.	﴿ الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾	العنكبوت	١٤٠
٩٠.	﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾	الروم	٢٠
٩١.	﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾	الروم	٦١
٩٢.	﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾	فاطر	١٢٥
٩٣.	﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴾	فاطر	١٣٤
٩٤.	﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	يس	١١٠
٩٥.	﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	ص	٥٨
٩٦.	﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	الزمر	١٢٤
٩٧.	﴿ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾	فصلت	١٤٤
٩٨.	﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	محمد	٥٠
٩٩.	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾	محمد	٥٨
١٠٠.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾	محمد	١٦٨

١٠١.	﴿ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾	النجم	٩٠
١٠٢.	﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾	النجم	١١٩
١٠٣.	﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾	التغابن	١٠٣
١٠٤.	﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾	التين	٥٦

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الحكم على الحديث	رقم الصفحة
١.	أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته عنه	صححه الألباني	١٧
٢.	أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل	صحيح مسلم	١٦٩
٣.	اصبر" ثم قال: "اللهم اغفر لآل ياسر	صححه الألباني	٩٩
٤.	أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ	صححه الألباني	١٤٢
٥.	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي	صحيح البخاري	٥٥
٦.	اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه	صحيح مسلم	٣٨
٧.	إنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ	صحيح البخاري	٦٤
٨.	أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر	صحيح البخاري	١٦٤
٩.	إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها	صحيح مسلم	١٦١
١٠.	إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة	صحيح البخاري	١٠٩
١١.	رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد، رجلين	صحيح مسلم	١٦٧
١٢.	فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه	صحيح البخاري	١٠٤
١٣.	قال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا	صحيح البخاري	١٧
١٤.	لا ينبغي لنبي يلبس لأمته	صحيح البخاري	٧٥
١٥.	لعن الله الواصِلات والواشِمات	صحيح البخاري	٢١
١٦.	ليبلغ الشاهد الغائب	صحيح البخاري	١١١
١٧.	لما توفي رسول الله ﷺ أقبل أبو بكر الصديق ﷺ	صحيح البخاري	١٦٤
١٨.	لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين	صحيح البخاري	٩١
١٩.	ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز منهم	صححه الألباني	١٩
٢٠.	ما مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ على الفِطْرةِ	صحيح البخاري	٢١

م	طرف الحديث	الحكم على الحديث	رقم الصفحة
٢١.	ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشورة	ضعفه الألباني	١١٧
٢٢.	ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون	صحيح مسلم	١٠٣
٢٣.	مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ	صحيح مسلم	١٤٢
٢٤.	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ	صحيح مسلم	١٢١
٢٥.	مثل القائم على حدود الله والواقع فيها	صحيح البخاري	٣٤
٢٦.	مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا	صحيح البخاري	٣٤
٢٧.	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده	صحيح مسلم	٢٤
٢٨.	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً	صححه الألباني	١٢٥
٢٩.	مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً	صحيح مسلم	١٣٤
٣٠.	نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ	صحيح البخاري	١٧١
٣١.	هذا جبل يحبنا ونحبه	صحيح البخاري	١٦٦
٣٢.	" يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله	صحيح مسلم	٣٨
٣٣.	يا خالد لا ترد عليه، هل أنتم تاركون لي أمرائي	صحيح مسلم	١٧٤
٣٤.	يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة	صحيح البخاري	١٠٩

فهـرس المـراجـع

- **القرآن الكريم.**

١. الأحكام السلطانية – علي محمد حبيب الماوردي، تحقيق أحمد مبـارك البغـدادي ط١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٢. أحكام القرآن – ابن العربي محمد عبد الله الأندلسي، دار الكتب العلمية.

٣. أحكام القرآن – أحمد الرازي الجصاص، تحقيق محمد قمحـاوي، دار إحيـاء التـراث العربي، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٤. إحياء علوم الدين – محمد الغزالي، دار المعرفة ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٥. الأخلاق الإسلامية – عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم دمشق ط٥، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – محمد العمادي أبـو السـعود، دار إحيـاء التراث.

٧. أساس البلاغة – جار الله محمود عمر أحمد الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٨. الأساس في التفسير – سعيد حوى، دار السلام ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٩. الأساس في السنة وفقهها – سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر ط٣، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

١٠. أسباب النزول – علي أحمد الواحدي النيسـابوري، دار الإصـلاح ط٢، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

١١. أسرار ترتيب القرآن – جلال الدين السيوطي، تحقيق عبـد القـادر احمـد عطـا، دار الاعتصام ط٢، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

١٢. أسس التصور الإسلامي – محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الثانيـة، سـنة الطبـع ١٤٠٣هـ.

١٣. أسس الحكم في الشريعة الإسلامية – صالح السدلان، دار بلنسية، دون تاريخ.

١٤. إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة – نصار أسعد نصار، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، ج٢٣ العدد١، ٢٠٠٧م.
١٥. الإصلاح في القرآن الكريم – الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ عز الدين رمضاني الجزائري، تاريخ نشر المقال يوم السبت ١٩ ديسمبر ٢٠٠٩م www.azeddin.com.
١٦. أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي نظريات في فقه الدعوة الإسلامية – محمد أحمد الراشد، دار المحراب.
١٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين – ابن القيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، ١٩٧٣م.
١٨. الأم – محمد بن إدريس الشافعي، مطبعة بولاق ط٢، ١٣٩٣هـ.
١٩. الأمثال في القرآن – محمود بن الشريف، دار عكاظ للطباعة للنشر ط٢، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٠. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣ م.
٢١. الإيمان أركانه حقيقته ونواقضه– محمد نعيم ياسين، السنة الدار السلفية للنشر القاهرة ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
٢٢. البداية والنهاية – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٢٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – الفيروز آبادي، طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة سنة ١٩٦٤م.
٢٤. البيان في عد آي القرآن – عثمان بن سعيد الأموي الأندلسي الداني، تحقيق غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث الكويت ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٢٥. تاج العروس من جواهر القاموس – محمد محمد عبد الرازق الزبيدي، دار الهداية.
٢٦. التاج والإكليل – محمد يوسف العبدري، دار الفكر، ١٣٩٨هـ.
٢٧. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر – عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة الإسكندرية.

٢٨. التأصيل الشرعي للمظاهرات السلمية أو الثورات الشعبية ما يجوز منها وما لا يجوز مع مناقشة الأدلة – علي محي الدين القرة داغي.
٢٩. التحرير والتنوير – الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية تونس، ١٩٨٤م.
٣٠. التربية النبوية بالأحداث – محمد أمحزون، موقع المسلم www.almoslim.net.
٣١. التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها – الجدري، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى، ١٤١٨هـ.
٣٢. التربية بالأحداث في السنة النبوية وتطبيقاتها التربوية – الغريب علي العمري، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى، ١٤٣١هـ.
٣٣. التسهيل لعلوم التنزيل – محمد أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.
٣٤. التصوير الفني في القرآن– سيد قطب، دار الشروق ط١٦، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٣٥. التعريفات – علي محمد علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي بيروت ط١، ١٤٠٥هـ.
٣٦. التغيير في حياة الأمم وعوامل الثبات والاهتزاز– أحمد محمد العسال، مجلة البحوث الإسلامية العدد ٨، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.
٣٧. تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير– عبد الحميد محمد بن باديس، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٣٨. التفسير الإسلامي للتاريخ – عماد الدين خليل، دار العلم للملايين ط٥، ١٩٩١م.
٣٩. تفسير البحر المحيط – محمد يوسف أبو حيان، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٤٠. تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي، بدون تاريخ طبعة ودار نشر.
٤١. تفسير القرآن الحكيم – محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٤٢. تفسير القرآن العظيم – إسماعيل عمر بن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٤٣. تفسير القرآن الكريم – عبد الكريم مطيع الحمداوي، بدون تاريخ طبعة ودار نشر.

٤٤. التفسير الكبير – فخر الدين الرازي، دار الفكر ط١، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٤٥. تفسير المراغي – أحمد مصطفى المراغي، شركة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي.
٤٦. تفسير المنار – محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت ط٢.
٤٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر دمشق ط٢، ١٤١٨هـ.
٤٨. التفسير الموضوعي لسور القرآن – إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف أ.د. مصطفى مسلم، جامعة الشارقة ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
٤٩. تهذيب اللغة – محمد أحمد الأزهري، تحقيق عبد العظيم محمود، الدار المصرية للطباعة والنشر – مطابع سجل العرب.
٥٠. توجيهات وذكرى – صالح عبد الله حميد، دار التربية والتراث ومكتبة الضياء ط٣، ١٤١٩هـ.
٥١. التوكل على الله في القرآن الكريم – معتوقة محمد حسن الحساني، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى، ٢٠٠١م.
٥٢. تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد – سليمان بن عبد الله بن الوهاب، المكتب الإسلامي ط٤.
٥٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٥٤. جامع البيان في تأويل أي القرآن – محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاعر، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٥٥. جامع العلوم والحكم – ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة ط١، ١٤٠٨هـ.
٥٦. الجامع لأحكام القرآن – محمد أحمد بن أبي بكر الأنصاري شمس الدين القرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب الرياض، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٥٧. جواهر البيان في متشابهات القرآن – عبد الرحيم عطية إبراهيم، مطبعة الكيلاني.
٥٨. الجواهر الحسان في تفسير القرآن – عبد الرحمن الثعالبي، مؤسسة الأعظمي بيروت.

٥٩. حتى يغيروا ما بأنفسهم – جودت سعيد، تقديم مالك بن نبي، دار الثقافة للجميع ط٤، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

٦٠. حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول – محمد بكر آل عابد، دار الغرب الإسلامي ط١.

٦١. الحريات العامة في الدول الإسلامية – راشد الغنوشي، مركز دراسات الوحدة العربية ط١، ١٩٩٣م.

٦٢. حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة – محمد الغزالي، دار الدعوة الإسكندرية ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٦٣. حقيقة الشورى بين الإتباع والادعاء – محمد بن شاكر الشريف، مجلة البيان عدد ٢١٧.

٦٤. حكم المظاهرات السلمية– الشريف حاتم العوني، موقع قصة الإسلام www.islamstory.com. الأربعاء ٩ فبراير ٢٠١١م.

٦٥. حول التفسير الإسلامي للتاريخ – محمد قطب، دار الشروق، مصر الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٦٦. خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام – الشحات محمود شتيت، مطبعة الأمانة ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

٦٧. الخلافة الإسلامية وقضية الحكم بما أنزل الله – صادق شريف نعمان، دار السلام القاهرة ط١، ١٩٩٣م.

٦٨. دراسات قرآنية – محمد قطب، دار الشروق بيروت ط٣، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٦٩. دور أهل الحل والعقد في نقض القرارات السياسية– مجدي قويدر، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٧٠. الرفق في المنظور الإسلامي – أبو زلفى الخزاعي، مؤسسة الرسالة.

٧١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – محمود الألوسي، دار إحياء التراث بيروت.

٧٢. زاد المعاد في هدي خير العباد – ابن القيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار الرسالة ط١، ١٣٩٩هـ.

٧٣. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد – عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٧٤. سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير – صلاح الدين سلطان ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٧٥. السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها – يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة القاهرة ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٧٦. السيرة النبوية – عبد المالك ابن هشام، دار الفكر.

٧٧. السيرة النبوية الصحيحة – أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٧٨. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – علي محمد الصلابي، دار المعرفة، ط٧، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٧٩. شرح العقيدة الطحاوية – صدر الدين محمد بن علاء الدين الحنفي الطحاوي، تحقيق جماعة من العلماء، دار السلام للطباعة ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٨٠. شرح صحيح مسلم– محي الدين بن شرف النووي، المطبعة المصرية ط١، ١٣٤٧هـ – ١٩٢٩م.

٨١. الشورى في ضوء القرآن والسنة – حسن ضياء الدين عتر، دار البحوث للدراسات الإسلامية ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٨٢. الشورى وأثرها في الديمقراطية – عبد الحميد الأنصاري، منشورات المكتبة العصرية ط٣.

٨٣. الصحاح – إسماعيل حماد الجوهري، دار العلم للملايين ط٤، ١٩٩٠م.

٨٤. صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢هـ.

٨٥. الصراع مع الصليبيين – محمد عبد القادر أبو فارس، دار البشير طنطا، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٨٦. صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة – محمد فوزي فيض الله، دار القلم ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٦م.
٨٧. طريق الدعوة في ظلال القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة بيروت ط٢، ١٩٨٥م.
٨٨. الطريق إلى جماعة المسلمين – حسين محسن علي جابر، دار الوفاء مصر ط٥، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
٨٩. العقيدة الإسلامية وأساسها – عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم دمشق ط٢، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٩٠. العقيدة وأثرها في بناء الجيل – عبد الله عزام، منشورات دار الحديث.
٩١. على مشارف القرن الخامس عشر الهجري – دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر – إبراهيم الوزير، دار الشروق ط٤، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
٩٢. غرائب القرآن ورغائب القرآن – نظام الدين بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق زكريا عميران، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
٩٣. غزوة أحد دراسة دعوية – محمد عيظة بن سعيد مذجح، دار اشبيليا ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٩٤. غزوة أحد– محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
٩٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة.
٩٦. الفواكه الدواني – أحمد غنيم سالم النفراوي، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٩٧. الفوائد– ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية ط٢، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.
٩٨. في إشراقه آية – عبد الكريم بكار، دار وجوه للنشر والتوزيع ط٢، ١٤٣١هـ.
٩٩. في ظلال القرآن – سيد قطب، دار الشروق للطباعة والنشر ط١٧، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
١٠٠. في نظريات التغيير – منير شفيق، المركز الثقافي العربي النشر للطباعة والتوزيع ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
١٠١. فيض القدير شرح الجامع الصغير – عبد الرءوف المناوي، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

١٠٢. القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي، دار الكتب العلمية بيروت١٤٢٠ه ١٩٩٩م.
١٠٣. القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه – عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة بيروت ط٢، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
١٠٤. قطف الأزهار في كشف الأسرار – جلال الدين السيوطي، تحقيق أحمد محمد حمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
١٠٥. كتاب العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، مكتبة الهلال.
١٠٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوب التنزيل – جار الله محمود عمر الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود– علي محمد معوض، مكتبة عبيكات ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
١٠٧. الكليات – أيوب موسي الحسني الكفوي، تحقيق عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
١٠٨. لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت ط١.
١٠٩. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية – محمد السفاريني ١٢٨٢هـ.
١١٠. مباحث في علوم القرآن – مناع القطان، مؤسسة الرسالة ط٣٥، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
١١١. مجموع الفتاوى – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق أنور الباز– عامر الجزار، دار الوفاء ط٢، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١١٢. محمد رسول الله – صادق عرجون، دار القلم ط٢، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
١١٣. مختار الصحاح – محمد عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتب لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
١١٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي ط٢، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.
١١٥. المستصفى – الغزالي، تحقيق حمزة زهير حافظ.
١١٦. المستفاد من قصص القرآن– عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة.

١١٧. المصطلحات الأربعة في القرآن – أبو الأعلى المودودي، تعريب محمد سباق، دار القلم الكويت ط٥، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.
١١٨. معالم في الطريق – سيد قطب، دار الشروق، ١٩٦٤م.
١١٩. المعجم المفهرس – محمد فؤاد عبد الباقي، بدون دار الحديث.
١٢٠. المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
١٢١. معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٢٢. معين السيرة – صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي ط٢، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
١٢٣. مغني المحتاج – الخطيب الشربيني، دار المعرفة بيروت ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٢٤. مفتاح دار السعادة – ابن القيم الجوزية، دار ابن عفان ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
١٢٥. المفردات في غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.
١٢٦. مقاييس اللغة – أحمد بن فارس الرازي، تحقيق عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٢٧. من فقه الدولة في الإسلام– يوسف القرضاوي، دار الشروق القاهرة ط٢، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٢٨. من معين السيرة – صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي ط٢، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
١٢٩. منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة النبوية – محمد أمحزون، دار السلام، ٢٠٠٢م.
١٣٠. منهجية التغيير بيت النظرية والتطبيق – صلاح الصاوي، دار النهضة مصر، ١٩٩٨م.
١٣١. الموسوعة الفقهية الكويتية– وزارة الأوقاف الكويتية، دار السلاسل ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
١٣٢. نظام الحكم في الإسلام – ظافر القاسمي، دار النفائس ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
١٣٣. النظام السياسي في الإسلام – محمد عبد القادر أبو فارس، كلية الشريعة الجامعة الأردنية، ١٩٨٠م.

١٣٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – برهان الدين البقاعي، تحقيق عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
١٣٥. النكت والعيون – علي محمد حبيب الماوردي، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية.
١٣٦. النهاية في غريب الحديث والأثير – ابن الأثير، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٣٧. هدايات سورة آل عمران– أحمد محمد ذو النورين، مجلة البيان عدد ٢٩٤.
١٣٨. الوافي معجم وسيط اللغة العربية– الشيخ عبد الله البستاني، مكتبة لبنان، ١٩٨٠م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٣
شكر وعرفان	٤
المقدمة	٥
منهج البحث	٧
الخطة	٨
الفصل التمهيدي **مفهوم المنهج والتغيير والإصلاح**	
المبحث الأول: مفهوم المنهج	**١٤**
المطلب الأول: تعريف المنهج لغة	١٥
المطلب الثاني: تعرف المنهج اصطلاحا	١٦
المطلب الثالث: الفرق بين الشرعة والمنهاج	١٦
المبحث الثاني مفهوم التغيير	**١٨**
المطلب الأول: التغيير لغة	١٩
المطلب الثاني: التغيير اصطلاحا	٢٠
المطلب الثالث: وسائل التغيير	٢٤
المبحث الثالث: مفهوم الإصلاح	**٣٠**
المطلب الأول: الإصلاح في اللغة	٣٠
المطلب الثاني: الإصلاح اصطلاحا	٣٢

المطلب الثالث: أهمية الإصلاح	٣٣
الفصل الأول **المناسبات في سورة آل عمران**	
المبحث الأول: تعريف بالسورة	**٣٦**
المطلب الأول: تسميتها وعدد آياتها وفضلها	٣٧
المطلب الثاني: محور السورة	٣٩
المطلب الثالث: الجو الذي نزلت فيه	٤١
المبحث الثاني: المناسبات في السورة	**٤٣**
المطلب الأول: مناسبة سورة آل عمران لما قبلها سورة البقرة	٤٤
المطلب الثاني: مناسبة سورة آل عمران لما بعدها سورة النساء	٤٥
الفصل الثاني **المنهجيات العقائدية**	
المبحث الأول: حقيقة التوحيد وأهميته	**٤٨**
المطلب الأول: حقيقة التوحيد	٤٩
المطلب الثاني: أهمية التوحيد	٥٣
المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في التوحيد	٥٦
المبحث الثاني: الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل	**٥٩**
المطلب الأول: الإسلام أصل الرسالات	٦٠
المطلب الثاني: اختيار الأنبياء عليهم السلام واصطفائهم	٦٤
المطلب الثالث: محاجة أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام	٦٧

المبحث الثالث: التوكل على الله	**٧٠**
المطلب الأول: مفهوم التوكل على الله وفضله	٧١
المطلب الثاني: أركان التوكل على الله	٧٣
المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في التوكل على الله	٧٧
الفصل الثالث **المنهجيات التربوية**	
المبحث الأول: التربية بالقصص	**٧٩**
المطلب الأول: مفهوم القصص لغة واصطلاحا	٨٠
المطلب الثاني: أنواع القصص وفوائدها	٨٢
المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في التربية بالقصص	٨٣
المبحث الثاني: التربية بضرب الأمثال	**٨٧**
المطلب الأول: مفهوم الأمثال في اللغة والاصطلاح	٨٨
المطلب الثاني: أهمية الأمثال وأنواعها	٨٩
المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في التربية بضرب الأمثال	٩٠
المبحث الثالث: التربية بالأحداث	**٩٢**
المطلب الأول: مفهوم الأحداث لغة واصطلاحا	٩٣
المطلب الثاني: خصائص التربية بالأحداث	٩٣
المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في التربية بالأحداث	٩٤

الفصل الرابع المنهجيات القيمية والأخلاقية	
المبحث الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	**٩٨**
المطلب الأول: مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته	٩٩
المطلب الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٠١
المطلب الثالث: المراتب الأساسية للتغيير	١٠٣
المبحث الثاني: الشورى	**١١٣**
المطلب الأول: مفهوم الشورى وأهميتها	١١٤
المطلب الثاني: فوائد الشورى وحكمها	١١٦
المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في الشورى	١١٩
المبحث الثالث: العلم	**١٣١**
المطلب الأول: مفهوم العلم	١٢٢
المطلب الثاني: حكم العلم	١٢٤
المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في العلم	١٢٦
المبحث الرابع: الرفق	**١٢٧**
المطلب الأول: مفهوم الرفق	١٢٨
المطلب الثاني: أهمية الرفق	١٢٩
المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في الرفق	١٣٠

الفصل الخامس منهجيات التغيير الإصلاح في السنن الإلهية	
المبحث الأول: مفهوم السنن الإلهية وأهميتها وحكمها	**١٣٣**
المطلب الأول: مفهوم السنن في اللغة والاصطلاح	١٣٤
المطلب الثاني: أهمية العلم بالسنن الإلهية	١٣٥
المطلب الثالث: حكم العلم بالسنن الإلهية	١٣٦
المبحث الثاني: السنن الإلهية في سورة آل عمران	**١٣٧**
المطلب الأول: سنة مداولة الأيام بين الناس	١٣٨
المطلب الثاني: سنة الابتلاء والتمحيص	١٤٠
المطلب الثالث: سنة الإملاء والاستدراج	١٤٤
المبحث الثالث: منهجيات التغيير و الإصلاح في السنن الإلهية في غزوات سورة آل عمران	**١٤٧**
المطلب الأول: منهجيات التغيير والإصلاح في غزوة بدر الكبرى	١٤٨
المطلب الثاني: منهجيات التغيير والإصلاح في غزوة أحد	١٥٦
المطلب الثالث: منهجيات التغيير والإصلاح في غزوة حمراء الأسد	١٧٠
المطلب الرابع: منهجيات التغيير والإصلاح في غزوة مؤتة	١٧٢
الخاتمة	١٧٦
فهرس الآيات	١٧٧
فهرس الأحاديث	١٨٧
فهرس المراجع	١٨٩

الملخص

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خير الأنام، ختمت هذه الرسالة والتى كانت بعنوان (منهجيات التغيير والإصلاح في ضوء سورة آل عمران) وتتلخص في التالي:

- تناول البحث تعريفا للمنهج لغة واصطلاحاً، وكذلك وضح أهمية التغيير والإصلاح.
- أيضاً تناول البحث تعريفاً عاماً بسورة آل عمران، بالإضافة إلى ذكر منهجيات التغيير والإصلاح في الجانب العقدي والتربوي.
- وكذالك وضح المنهجية الأخلاقية، وخاصةً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشورى أيضاً.
- بين البحث العلم وأهميته في ضوء السورة الكريمة وخصوصاً المنهجيات القيمية.
- أبرز البحث منهجيات التغيير والإصلاح في السنن الكونية وخاصةً سنة الابتلاء والتمحيص والإملاء والاستدراج.
- هذا بالإضافة إلى توضيح المنهجيات لأهم غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، بدر وأحد وحمراء الأسد ومؤتة.
- ختم البحث بأهم النتائج والتوصيات وأيضاً بخلاصة مترجمة باللغة الإنجليزية.